المفارقة فى مفهوم السر الأنطولوجى عند جابرييل مارسيل(*)

(قراءة تحليلية نقدية)

أ. آية صلاح حسنين فرغلي

باحثة دكتوراه في (الفلسفة المعاصرة)

قسم الفلسفة – كلية الآداب

جامعة الإسكندرية

(*) جابرييل مارسيل Gabriel Marcel (١٨٨٩-١٩٧٣م) فيلسوف فرنسى وكاتب مسرحى وناقد أدبى، حقق شهرة واسعة كمفكر من خلال تحليله العميق للتجربة الإنسانية وظواهرها الوجودية، وتأكيده على المشاركة بين الإنسان والحقيقة المتعالية. أتقن عدة لغات، كما كان له دور هام فى الأدب المعاصر فى فرنسا، إذ عالج موضوعات خاصة بالأصالة الروحية، فضلاً عن إسهامه الحقيقى فى إلقاء الضوء على النطاق الكامل للتجربة الإنسانية؛ كالوفاء، والأمل، واليأس، والشهادة، والإيمان، والموت، والحرية. ولقد اهتم بتشكيل فلسفة عينية تهدف إلى استعادة وتعميق التجربة الإنسانية بعيداً عن الفكر المجرد، ومن ثم جاءت فلسفته على شكل تأملات وفقاً لرؤيته الفلسفية التى تعبر عنه كفيلسوف دائم التساؤل. أما الحدث الحاسم فى حياة مارسيل الروحية فهو اعتناقه للكاثوليكية فى ٢٣ مارس ١٩٢٩م، وكانت هذه الفترة هى ذروة تحقيقه الفلسفى فى معنى الإيمان. والمفهوم الرئيس فى فلسفته هو "المشاركة" Participation، الذى طوّره تدريجياً من العلاقة بين "الأنا- الأنت" إلى العلاقة بين "الأنا- الأنت المطلق". أما عن أهم أعماله الفلسفية التى تتميز بأسلوبها الفريد من نوعه، مما كان له عظيم الأثر فى فلسفة القرن العشرين: "يوميات ميتافيزيقية" (١٩٢٧)م Journal Métaphysique، " أوضاع واقترابات عينية من السر الأنطولوجى" (١٩٣٣)م Positions et Approches Concrètes du Mystère Ontologique، "الوجود والمِلك" (١٩٣٥) م tre et Avoir ، "الإنسان الجوّال: مقدمة فى ميتافيزيقا الأمل" (١٩٤٥) م Homo Viator: Prolégomènes à une Métaphysique de l'espérance، " فلسفة الوجود" (١٩٤٨) م La Philosophie de L'existence ، "سر الوجود" (١٩٥٠) م Le Mystère de l'être ؛ فى جزئين: (التأمل والسر) Réflexion et Mystère و(الإيمان والواقع) Foi et Réalité ، "الخلفية الوجودية للكرامة الإنسانية" (1964)م La Dignité Humaine et ses Assises Existentielles.

انظر: The New Encyclopedia Britannica, Vol (11), Art: Marcel Gabriel, By: S.C., The University of Chicago, U.S.A., 1982, P.487:489.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مقدمة:

المفارقة[**] فى أصلها الأجنبى مأخوذة عن اليونانية، وتتألف من مقطعين: Para ويعنى المخالف أو الضد ومن doxa ويعنى الرأى؛ فيكون المعنى لهذه الكلمة ما يضاد الرأى الشائع. ولهذا فهى تبدو غير قابلة للتصديق، ولكنها تفترض ضمناً تحدياً فلسفياً[١].

(**) المفارقة بالإنجليزية Paradox، وبالفرنسية Paradoxe، وبالألمانية Paradoxe، وباللاتينيةParadoxa. ولقد شاع استعمال هذا اللفظ فى اللغة العربية الحديثة للدلالة على الآراء المخالفة للمعتقدات المألوفة، وأطلق هذا اللفظ أيضاً على الرأى الغريب الذى لا يعتقده صاحبه، ولكنه يدافع عنه أمام الناس لحملهم على الإعجاب به. والرأى المفارق ليس رأياً فاسداً اضطراراً، ولكنه مخالف لما يعتقده الناس، والأولى أن يُسمّى إغراباً، لأن من يُغرب فى كلامه يأتى بالغريب البعيد عن الفهم، ولأن للمفارق فى الفلسفة العربية القديمة معنى آخر وهو الجوهر المجرد عن المادة القائم بنفسه، تقول: الجواهر المفارقة. وعلى هذا، فإن المفارقة هى نتيجة قبول حقائق غامضة قد تكون قابلة أو غير قابلة للمعرفة، وذلك لإدراك حقيقة محددة؛ هذه الحقيقة تنطوى فى حد ذاتها على تناقض. ومن ثم تبقى دلالتها وأهميتها مثار جدل. ويدافع أنصار استخدام المفارقات عن مسلكهم هذا بالتأكيد على أن المفارقة صحيحة ومعقولة ومبرهن عليها، لكنها تبدو عكس ذلك لمن لم يفكر بعمق ووضوح. كما يقولون إن التناقض الظاهرى راجع إلى معنى الألفاظ وعدم دقة التعبير اللغوى، ويؤكدون أن التناقض هو مع قواعد تبدو بيّنة مُسلّماً بها، لكنها ليست فى الواقع كذلك، ويختفى طابع التناقض الظاهرى ببيان أن ما عُدّ مسلّمات بيّنات ليس فى الحقيقة كذلك.

انظر: جميل صليبا: المعجم الفلسفى، مادة: المفارقة، ج (٢)، دار الكتاب اللبنانى، بيروت، ١٩٨٢م، ص ٤٠٢. وكذلك: عبد الرحمن بدوى: موسوعة الفلسفة، مادة: المفارقة، ج(٢)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط (١)، ١٩٨٤م، ص ٤٥٧. وكذلك:

: Lacey, A.R.: A Dictionary of Philosophy, Art: Paradox, 3rded., Routledge, London and New York, 1996, P. 244

وكذلك:

Routledge Encyclopedia of Philosophy, Art: Paradoxes, epistemic, By: Jonathan L.Kvanvig, Routledge, London and New York, 1998, P. 6320.

(-) وتجدر الإشارة هنا إلى أن المفارقات نوعان: مفارقات دلالية، ومفارقات منطقية؛ أما المفارقات الدلالية فهى توظف مفاهيم مثل الحقيقة وتنطوى على مرجع ذاتى؛ أى أنها تهتم بالألفاظ، أما المفارقات المنطقية فهى تكشف عن صعوبات فى فهمنا الحدسى لمفاهيم أساسية أو دلالات نظرية محددة؛ أى أنها تكشف عن المبادىء المضللة فى المنطق التى يجب رفضها بشكل قاطع. هذا، وينبع الاهتمام الفلسفى بالمفارقات من حقيقة أن الاستدلال المنطقى يستند على افتراضات خاطئة، ومن ثم فإنه ينبغى ابتكار أساليب جديدة فى التفكير. ولقد أصبحت "المفارقات" محور اهتمام الفكر الفلسفى المعاصر بعد ظهور مفارقة رسل عام ١٩٠٢م – أشهر المفارقات المنطقية- التى تطرح القضايا الأساسية للمبادىء الفلسفية. وتنص على "أن قضيتين لا تصحان معاً (متناقضتين) يمكن البرهنة على كل منهما بالدرجة نفسها ويمكن أن تظهرا معاً فى نظرية علمية وفى الحجج العادية"، ولما كان تناقضاً منطقياً صورياً يهدم الاستدلال كوسيلة للعثور على الحقيقة والبرهنة عليها (فى نظرية تظهر فيها مفارقة، تكون أية قضية – سواء صادقة أو كاذبة ممكن البرهنة عليها بالقدر نفسه)، فإنه تنشأ مهمة كشف مصادر المفارقات وإيجاد الطرق لإزالتها. أما المفارقة المعرفيّة Paradoxe épistémologique فهى تعبير عن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ويمكن تعريف المفارقة بأنها قول يتركب من أصل وفرع، ويفرّق المعترض بينهما بإبداء ما يختص بالأصل دون الفرع؛ أو هى الرأى الذى يفترق بالتمايز أو الاختلاف عمّا يعتقده الناس. وإن لم يصرح بالفرق؛ والفارق هو الوصف الذى يوجد فـــى الأصـــل دون الفرع[٢].

إذن، المفارقة هى ادعاء لا معقول- ولكنه لديه حُجة لاستمراره، وذلك لأنها تـــستند على افتراضات تبدو حقيقية ولكنها تنطوى على تناقض بسبب غموضها[٣].

والمفارقة إثراء يضرب بجذوره فى عمق الفكـــر الوجـــودى، والبحـــث محاولـــة متواضعة لقراءة مفهوم السر الأنطولوجى من جديد عند مارسيل- فـــى ضـــوء مفهـــوم

صعوبات جدلية ومعرفية (ابستمولوجية) عميقة ترتبط بمفاهيم عن موضوع ما، أى التنـــاقض الظـــاهرىّ الـــذى يعرضه العلم، والذى لا يُفسَّر إلا بالحصر فى المثيل، والذى لا يمكنه من ثمَّ التوصّل إلى التفسير الكامل دون أن يغيّب موضوعه.

انظر: أندريه لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، مادة: المفارقة، المجلد الأول، تعريب: خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، ط (٢)، بيروت- باريس، ٢٠٠١م، ص ٩٣٥.

وكذلك: م. روزنتال، ب. يودين: الموسوعة الفلسفية، مادة: المفارقة، ترجمة: سمير كرم، دار الطليعة للطباعـــة والنشر، بيروت، بدون تاريخ، ص ص ٤٨٦-٤٨٧. وكذلك:

Audi, Robert.: The Cambridge Dictionary of Philosophy, Art: Paradox, 2nded., Cambridge University Press, 1999 P. 643.

وكذلك:

Bunnin, Nicholas & Yu, Jiyuan.: The Blackwell Dictionary of Western Philosophy, Art: Paradox, Blackwell Publishing Ltd., 2004, P. 503.

وكذلك:

Routledge Encyclopedia of Philosophy, Art: Paradoxes of Set and Property, By: Gregory H. Moore, Routledge, London and New York, 1998, P.6312.

(1) مراد وهبه: المعجم الفلسفى، مادة: المفارقة، دار قباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، القـــاهرة، ٢٠٠٧م، ص ص ٦١١-٦١٢. وكذلك:

Bunnin, Nicholas & Yu, Jiyuan.: The Blackwell Dictionary of Western Philosophy, Art: Paradox, P. 503.

(2)عبد المنعم الحفنى: المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، مادة: المفارقة، ط (٣)، مكتبة مدبولى، ٢٠٠٠م، ص ٨٢٦.

(3) Routledge Encyclopedia of Philosophy, Art: Paradoxes of Set and Property, By: Gregory H. Moore, P.6312.

وكذلك:

Audi, Robert.: The Cambridge Dictionary of Philosophy, Art: Paradox, P. 643.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

"المفارقة" بالمعانى التى أمكن استخلاصها من السياق العام لفكر مارسيل، مع افتراض أن هذه المفارقة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بمفهوم "السر الأنطولوجى" كما أكد عليه مارسيل.

إن مارسيل يسعى إلى إلقاء الضوء على هذا الجانب أو ذاك من جوانب الوجود، ذلك الوجود الذى يراه من حيث المبدأ " سراً " إزاء العقل. ولكن مارسيل لا يتساءل عن الوجود كما يتساءل المرء عن واقعة أو شىء يملكه، بل هو يريد أن ينتقل بالتساؤل من دائرة المِلك إلى دائرة الوجود، أو من مجال المشكلة إلى مجال السر - فالوجود هو السر الأكبر أو سر الأسرار، ولا حل له لأنه ليس مشكلة، وهو حاضر حضوراً دائماً، ونحن نشارك فى هذا السر دون أن نمتلكه، ونشعر به دون أن نحيط بمعرفته أو نسبر غوره تماماً[٤].

ويرى مارسيل أن أول لقاء مباشر يتم بيننا وبين ما أطلق عليه اسم "سر الوجود" إنما يتحقق بالمشاركة الحية، إذ تتسم المشاركة بالطابع الوجودى، والرابطة العميقة التى تتحقق عبر "المشاركة" إنما هى النموذج الحى لتلك العلاقة الجوهرية التى تجمع بين الإنسان وسر الوجود[٥].

وتتجلى المشاركة فى الظواهر الوجودية المتعددة التى تحجب وراءها "سر الوجود"، إذ إن هذه الظواهر تشارك فى الوجود بوسيلة أو بأخرى. فالأمل هو الشعور المُحرر الذى نعترف معه بأن ثمة سراً، وأن هذا "السر الأنطولوجى" هو الكفيل وحده بتحقيق انطلاقنا، والحب سر لأننى ارتبط فيه بكل وجودى وكيانى، والموت سر لأنه انفتاح على وجود أكثر امتلاءً، كما أن تجربة الوفاء سر يكشف لى عن معنى الوجود الذاتى، والحرية سر لأنها متضمنة فى باطن الفكر الذى يحاول البحث عن معناها. وهذه الأسرار جميعاً مظهر لسر واحد، هو "سر الوجود"[٦].

---

(4) فؤاد كامل: أعلام الفكر الفلسفى المعاصر، دار الجيل، ط (١)، بيروت، ١٩٩٣م، ص ٢٢٧.
وكذلك: فؤاد كامل: مدخل إلى فلسفة الدين ودراسات أخرى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤م، ص ١٠١.
(5) زكريا ابراهيم: دراسات فى الفلسفة المعاصرة، ج (١)، مكتبة مصر، ط (١)، القاهرة، ١٩٦٨م، ص ص ٤٩٦-٤٩٧
(6) المرجع نفسه، ص ٥٠٤.
وكذلك: فؤاد كامل: مدخل إلى فلسفة الدين ودراسات أخرى، ص ١٠١.
وكذلك: فؤاد كامل: فلاسفة وجوديون، سلسلة مذاهب وشخصيات، العدد الأربعون، مطابع الدار القومية، القاهرة، ١٩٦٥م، ص ٧٥.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وربما كانت الإضافة الحقيقية لمارسيل وهو بإزاء الكشف عن سر الوجود – هى التأكيد على عدم كفاية العالم، فهذه الفكرة فى حد ذاتها تؤلف خطوة هامة فى الطريق الروحى؛ إذ تكشف فينا عن مطلب معين لا يرضى بهذا العالم أياً كان تركيبه، وهذا المطلب هو الله. وحين يضعنا مارسيل وجهاً لوجه أمام سر الوجود، يهيب بنا أن نتجاوز الموضوعية الخالصة، وأن نقف متأهبين على عتبة "حضرة الله"(٧).

أما عن الهدف من هذا البحث فهو الكشف عن "السر الأنطولوجى" للإنسان المعاصر، الذى يشعر فى قرارة نفسه شعوراً عميقاً بالاغتراب، إذ إنه موجود فى موقف لم يعد فيه ثمة اتصال بينه وبين نفسه، وإنه يوجد دائماً خارج ذاته بالمعنى الحرفى لهذه الكلمة، مما يفضى به إلى الشعور باليأس والقلق والإحساس بأن هذا العالم ليس إلا قطاعاً من واقع مستور محجوب عنه، وهنا يقف وجهاً لوجه أمام "سر الوجود"(٨).

ومن ثم جاء البحث محاولة متواضعة للإجابة عن هذه التساؤلات الرئيسة: ما أهم معانى المفارقة فى تناول مارسيل لمفهوم الوجود؟ وما معانى المفارقة فى الظواهر الوجودية التى تكشف عن سر الوجود عند مارسيل؟ وما طبيعة المفارقة فى مفهوم مارسيل عن الإيمان؟ وما علاقة ذلك بالسر الأنطولوجى عنده؟

أما عن المنهج المستخدم فى هذا البحث فهو "المنهج التحليلى التركيبى النقدى"، وفيه نقوم بتحليل نصوص الفيلسوف ومحاولة قراءتها من جديد فى ضوء مفهوم "المفارقة"، ثم نستخدم "التركيب" فى محاولة للوصول إلى معانى المفارقة فى أفكاره الفلسفية.

(١) مفهوم الوجود عند مارسيل:

يرى مارسيل أن الإدراك الوجودى يتم من خلال الفعل، وهو ما يُسميه باسم "اليقين الوجودى"، إذ إننى أنكشف لذاتى بوصفى سائلاً فى صميم الفعل الذى بمقتضاه أضع السؤال، وهذه هى اللحظة التى نجد فيها أنفسنا وجهاً لوجه بإزاء الوجود فى صميم وجوده المعطى المباشر. لذا يقول فى مؤلفه "أوضاع السر الأنطولوجى": "إن الوجود لا يُؤكَد، ولكنه يُوكِد نفسه"(*)(٩).

---

(7) فؤاد كامل: مدخل إلى فلسفة الدين ودراسات أخرى، ص ١٠٥.

(8) فؤاد كامل: أعلام الفكر الفلسفى المعاصر، ص ٢٢٩.

(*) L' être n'est pas affirmé, mais s'affirme.

(9) ريچيس جوليڤيه: المذاهب الوجودية من كيركجور إلى چان بول سارتر، ترجمة: فؤاد كامل، مراجعة: محمد عبد الهادى أبو ريدة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، بدون تاريخ، ص ٢٩٢.
وكذلك: زكريا ابراهيم: دراسات فى الفلسفة المعاصرة، ج (١)، ص ص ٤٩٢-٤٩٣.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وعلى هذا، فإن مارسيل يرى أن التجربة الأولى والأساسية هى تجربة وجودى، وهذا هو الواقع الذى يجب أن أبدأ منه، لا واقع الوجود بوجه عام. إذ يعتقد أنه لا يمكن إدراك الكلى إلا بالتعمق فى الجزئى، فيقول فى مؤلفه "من الإباء إلى النداء": "إنه كلما تعرفنا على الوجود الفردى بما هو كذلك، كنا أكثر توجهاً وكأننا مساقون - نحو إدراك الوجود بما هو وجود"(١٠).

بيد أن وجودى سر ملغز بالنسبة لى، فإننى حين أفكر فى نفسى أكتشف أننى وحدة تتجاوز (الذات - الموضوع)، وذلك لأننى خارج العالم، لكننى بداخله كذلك، وأشارك فى عالم الأشياء لكنى أعلم علم اليقين أننى أتجاوز هذا العالم. يقول مارسيل فى مؤلفه "فلسفة الوجود": "إن المعنى الأنطولوجى يوشك أن يندثر، وذلك بسبب غموضه وعدم تحديده... غير أن التباين الحقيقى فى الوجود هو بالأحرى التباين بين الوجود المبهم والوجود الجلىّ، ولكن هذا الغموض الباطن لا يزال يتعين تحليله"(١١).

إن الوجود سر لا ينفد ولا يمكن استهلاكه، ولكن من أين يأتى سر الوجود؟ إن أعم سبب نستطيع أن نقدمه هو أن الوجود يخفى حضوراً ما: ففيه شىء يظهر على أنه ذاتية Subjectivité، ولهذا السبب فإن كل تحويل إلى الموضوعية يجعل السر يحتجب. يقول مارسيل: "إن الوجود يصبح حضوراً بالنسبة لى فى العلاقات غير القابلة للإحالة الموضوعية والتى تنطوى دائماً على السر، فأنا الذى أسائل نفسى عن الوجود". ويقول: "إنه لولا وجود ذلك الاستمرار الحى الذى يجعل من كل ذات (حقيقة أنطولوجية) تعلو على كل صيرورة ظاهرية، لما كان ثمة موضع للحديث عن أى سر وجودى"(١٢).

يقول مارسيل فى مؤلفه "فلسفة الوجود": "إن ما يفتقر إليه هذا العالم هو الحاجة الأنطولوجية إلى الوجود الإنسانى". وعلى هذا، فإنه يبدو أن هدف مارسيل هو استعادة أو إعادة اكتشاف الخبرة الإنسانية، التى تنبع من الوجود الإنسانى تحقيقاً لوجوده الفعّال

---

(10) نقلاً عن: ريجيس جوليفييه: المذاهب الوجودية من كيركجور إلى جان بول سارتر، ص ٢٨٩.

(11) جاك شورون: الموت فى الفكر الغربى، ترجمة: كامل يوسف حسين، مراجعة وتقديم: إمام عبد الفتاح إمام، سلسلة عالم المعرفة، العدد (٧٦)، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، الكويت، أبريل، ١٩٨٤م، ص ص ٢٧٣-٢٧٤. وكذلك:

Marcel, Gabriel.: The philosophy of Existence, Translated by: Manya Harari, The Harvill Press Ltd., London, 1954, P.19,28.

(12) ريجيس جوليفييه: المذاهب الوجودية من كيركجور إلى جان بول سارتر، ص ص ٢٩٣-٢٩٤.
وكذلك: زكريا ابراهيم: دراسات فى الفلسفة المعاصرة، ج (١)، ص ٥٠٠.
وكذلك: فؤاد كامل: فلاسفة وجوديون، ص ٧٣.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

واستجابة له. فيقول فى "الوجود والمِلك": "إن الحقيقة عن السر الأنطولوجى يمكن أن نعبر عنها بقولنا: إن الوجود (وأعنى به الوجود الفردى) هو - ما لا ينضب L'inexhaustible، وكل وجود فردى باعتباره وجوداً مغلقاً (وكذلك باعتباره لا متناهياً) إنما هو رمز أو تعبير عن السر الأنطولوجى"(١٣).

ولقد ذهب بعض شارحى فلسفة مارسيل إلى أن الهدف الأساسى من فلسفته ليس هو الاقتصار على وصف الوجود الإنسانى، بل العمل على إدراك أو اكتشاف الوجود من حيث هو وجود. ومعنى هذا أن الجهد الأكبر الذى قام به مارسيل إنا هو العمل على إعادة الثقل الأنطولوجى إلى تجربتنا الإنسانية(١٤).

(أ) سر التجسد "الوجود- فى- العالم" وعلاقته بالسر الأنطولوجى:

إن "التجسد" هو الموضوع الرئيس عند مارسيل فى كل تأملاته الفلسفية، وهو الأصل فى كل المواقف الوجودية التى يحيا بها الإنسان وجوده. وتجربة التجسد أى القيام فى جسم يوجد فى اتصال مع كل الموضوعات الأخرى فى العالم. فالشعور بوجودى يرتبط أول ما يرتبط بجسمى - بوصفى "وجوداً متجسداً"، وشعورى بجسمى يضع العالم فى اللحظة نفسها التى يتم فيها هذا الشعور، فوجود العالم إذن لا ينفصل عن الشعور بوجودى، وفى هذا قضاء على مشكلة العالم الخارجى؛ إذ لا معنى لانفصال وجودى عن وجود العالم مادام لى جسم. ومن ثم يؤكد مارسيل أن الجسم هو الطريقة الخاصة التى يحيا بها الإنسان وجوده، لأنه الوسيلة التى ينتسب بها الوجود الإنسانى إلى العالم(١٥).

وعلى هذا، فإن "اليقين الوجودى" ماثل فى الخبرة التى أُحصّلها عن جسمى على نحو ما هو حى بالفعل، وذلك على أساس أن الجسم هو "المعيار المحورى الذى ينبغى أن تُحال إليه كافة الأحكام المتعلقة بالوجود". يقول مارسيل فى مؤلفه "الوجود والمِلك": "عندما أؤكد أن شيئاً ما موجود، فهذا معناه أن هذا الشىء متصل بجسمى، أو أستطيع أن

---

(13) نقلاً عن: ريچيس جوليڤيه: المذاهب الوجودية من كيركجور إلى چان بول سارتر، ص ص ٢٨٩-٢٩٠. وكذلك:

Blackham, H.J.: Six Existentialist Thinkers: Kierkegaard, Nietzsche, Jaspers, Marcel, Heidegger, Sartre, Routledge& Kegan Paul Ltd., Great Britain, 1982, P.67.

وكذلك: Marcel, Gabriel.: The philosophy of Existence, P. 4.

(14) زكريا ابراهيم: دراسات فى الفلسفة المعاصرة، ج (١)، ص ٤٨٨.

(15) حبيب الشارونى: فكرة الجسم فى الفلسفة الوجودية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٤م، ص ٧٤، ٨٠.

وكذلك: فؤاد كامل: فلاسفة وجوديون، ص ص ٧٥- ٧٦.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أصفه بأنه فى علاقة معى، وقد يكون هذا الاتصال غير مباشر، ولكن ينبغى أن يُلاحظ أن الأولوية تُعزى إلى جسمى، ومن ثم فإن حقيقة ذلك تعتمد على أن جسمى مُعطى لى بطريقة غير موضوعية- إنه جسمى. ويبدو أن طابع الترابط بينى وبين جسمى غامض (إننى أتجنب عمداً كلمة علاقة)، إنه فى الحقيقة لون من الأحكام الوجودية، وهذ ما لا يمكننا فصله عن: الوجود، والوعى بالذات كوجود، والوعى بالذات بوصفها مرتبطة بجسم(*)- "كتجسد" (١٦).

ومن ثم يتراءى لمارسيل عدة نتائج هامة، فيقول: " فى المقام الأول، لا يُمكن أن تبدو وجهة النظر الوجودية عن الواقع شيء آخر غير أنها الوجود الشخصى المتجسد. وبالرغم من أن مشكلة وجود العالم الخارجى قد تغيرت وربما فقدت معناها، فإنه لا يمكننى فى الحقيقة التفكير فى جسمى بوصفه غير موجود دون الوقوع فى تناقض؛ نظراً لأنه فى اتصال معى من حيث إنه جسمى؛ فكل شيء موجود يُعرّف ويُحدد موضعه. ومن جهة أخرى فإنه ينبغى علينا أن نتساءل عما إذا هناك أسباب فعّالة لإعطاء جسمى وضع ميتافيزيقى متميز بالمقارنة مع أشياء أخرى. وإذا كان الأمر كذلك، فإنه يجوز التساؤل عما إذا كان الاتحاد بين النفس والجسم هو فى جوهره مختلف حقاً عن الوحدة التى بين النفس والأشياء الموجودة الأخرى. وأخيراً فإنه ينبغى التحقيق فى هذا التفسير للوجود عما إذا كان يؤدى إلى الذاتية، كما ينبغى رفض المثالية فى تفسير الوجود، وإثبات كيف أنها تتجه حتماً نحو القضاء على كل الاعتبارات الوجودية فى ضوء الاحتجاب الأساسى للوجود"(١٧).

وإذا كان قد بدا لنا أن محاولة تصور جسمى وفهم العلاقة بينى وبينه قد أدت إلى تناقض، فذلك أنه لا توجد فكرة ممكنة بالنسبة لى عن المبدأ الوسيط الذى هو شرط لازم

(*) الجسم بالإنجليزية Body وبالفرنسية Corps وباللاتينية Corpus، وهو الجوهر الممتد القابل للأبعاد الثلاثة: الطول، والعرض، والعمق. وهو ذو شكل ووضع، وله مكان، إذا شغله منع غيره من التداخل فيه معه. فالامتداد وعدم التداخل هما إذن المعنيان المقومان للجسم، ويضاف إليهما معنى ثالث وهو الكتلة. ويطلق الجسم على الجسد، وهو مقابل للروح.

انظر: جميل صليبا: المعجم الفلسفى، مادة: الجسم، ج (١)، دار الكتاب اللبنانى، بيروت، ١٩٨٢ م، ص ٤٠٢.

(16) جاك شورون: الموت فى الفكر الغربى، ص ٢٧٢.

وكذلك: زكريا ابراهيم: دراسات فى الفلسفة المعاصرة، ج (١)، ص ٤٩٣. وكذلك

Marcel, Gabriel.: Being and Having, Translated by: Katharine Farrer, Dacre Press, Westminster: England, 1949, P.10.

(17) Ibid, PP. 10-11.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لممارسة الانتباه إلى أى موضوع. فلا ينبغى لنا أن نفهم العلاقة القائمة بين النفس والجسم على نمط العلاقات الأخرى بيننا وبين الموضوعات الخارجية، رغم أن هذه العلاقات هى مع ذلك قائمة على العلاقة بين النفس والجسم ومشتقة منها[١٨].

ومن ثم يتبين أن النتيجة التى ينتهى إليها مارسيل هى دائماً نتيجة سلبية؛ وهى أنه لا يُمكن تحديد العلاقة بين النفس والجسم تحديداً واضحاً موضوعياً. والواقع أن أساس فلسفة مارسيل هو فى رفض هذه الموضوعية وفى تقرير قبلية ميتافيزيقية للوجود الجسمانى. يقول مارسيل: " لا أستطيع أن أقول عن هذا الجسم إنه أنا ولا إنه ليس أنا ولا إنه لأجلى (أى موضوع)". كما يقول: " التجسد معناه الظهور كجسد... دون إمكان الهوية معه، ودون التميز عنه فى الوقت نفسه"[١٩].

والواقع أن مارسيل ليس واضحاً تماماً فيما يتعلق بمعنى التجسد، فالجسم عنده يجمع بين الذات والموضوع فى آن واحد، فحين أؤكد أن شيئاً ما له وجود، فذلك لأننى أربط بينه وبين جسمى، بل إن العلاقة الكائنة بينى وبين جسمى تلون فى الواقع كل حكم وجودى أقوم به، فهى إذن سر من الأسرار لأنها ليست علاقة موضوعية أو علاقة مِلك؛ فالجسم ليس أداة استخدمها لأننى لا أستطيع أن أميز جسمى عن نفسى، فأنا جسمى- ولكن فى ذلك قضاء على "الأنا"، إذ يصبح الجسم حينذاك هو وحده الموجود، بينما الواقع أن جسمى لا يستطيع أن يوجد وحده، فأنا لا أتميز عن جسمى، وهذا هو موطن الغرابة فى العلاقة وموطن السر. ولو أننى نظرت إلى جسمى على أنه مجرد "موضوع"، لكان مجرد جسم كسائر الأجسام الأخرى، ولما كان فى استطاعتى أن أفهم السر فى التصاقه بى والتحامه بصميم وجودى[٢٠].

وعلى هذا، فإن وعيىّ بوجودى لا يعنى فصل نفسى عن جسمى (كموضوع)، لأن وجود جسدى فى العالم يُشكل لى موضوعاً قبل أن يُعطى لى، فالمشاركة الأساسية هى وجود جسدى فى العالم. ومن ثم يُمكن القول إن جسمى لا ينتمى إلىّ، ولكنه يمتد إلى العالم الذى يتجاوزنى ويشملنى فى الوقت نفسه. إذن، فإنه لا يُمكن فصل النفس عن الجسم (الذات عن الموضوع) لأن كلاً منهما ينطوى على الآخر. يقول مارسيل فى مؤلفه "سر الوجود": "

---

(18) حبيب الشارونى: فكرة الجسم فى الفلسفة الوجودية، ص ٨٠.
(19) نقلاً عن: المرجع نفسه، ص ص ٨١-٨٢.
(20) زكريا ابراهيم: دراسات فى الفلسفة المعاصرة، ج (١)، ص ٤٩٤.
وكذلك: فؤاد كامل: فلاسفة وجوديون، ص ٧٦.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إن المعيار الرئيس لجسمى لا يشير فقط إلى جسمى كشىء متجسد، ولكنه يشير إلىّ أنـــا - إلى ذاتى كحضور... وهذا الحضور لا يسمح لنفسه أن يندثر أو أن يصبح موضـــوعاً... وعلى ذلك فإن جسمى حضور، وبمقتضى هذا لا يُمكن اختزاله إلى مجرد آلة"[٢١].

وخلاصة القول إن وجود العالم يُعطى لى فى الوقت نفسه الذى يُعطـــى لـــى فيـــه وجودى الخاص الذى لا ينفصل عن وجود العالم. يقول مارســـيل: " إن العـــالم يـــضرب بجذوره فى الوجود". وعلى هذا، فإن التحليل الوجودى لتجربة التجسد يؤدى بنـــا - كمـــا يلاحظ مارسيل - إلى أن نجعل اتحاد النفس بالجسم، وكذلك من اتحاد النفس وبقية العـــالم، أعنى "الوجود - فى - العالم" [*]حقيقة واحدة[٢٢].

وإذا كان جسمى " سراً " لا سبيل إلى إماطة اللثام عنه، فذلك السر هو - على حـــد تعبير مارسيل - سر" الحضرة " Présence و" المشاركة " Participation. فالوجود عن مارسيل هو " المشاركة " وتمتد هذه المشاركة إلى الوجود كله، ومسألة المشاركة هذه تحل مشكلة اتصال الإنسان والوجود بالله، والمشاركة تفترض الانفتاح؛ الانفتاح على الجـــسد، وعلى الآخرين، وعلى الوجود، وعلى الله[٢٣].

---

(21) Blackham, H.J.: Six Existentialist Thinkers, PP.68-69, 73.

وكذلك:

Marcel, Gabriel.: The Mystery of Being II, (Faith & Reality), Henry Regnery Company Chicago, Illinois, 1960,P. 24:26.

(*) يمكننا مقارنة هذا المعنى بمفهوم "الوجود - فى - العالم" In- der- Welt- Sein عند هايدجر، الذى ينطوى على لحظات ثلاث مقومة له وهى؛ العالم، والموجود الذى هو فى العالم، والحضور فى العالم أو الوجود الـــذى يشتمل على العناصر البنائية للآنية بمعنى الموجودات. ولقد اهتم هايدجر بتوضيح الدلالة الأنطولوجيـــة لمعنـــى "الوجود - فى - العالم" مشيراً إلى أن هذه الدلالة تعنى " القدرة القبلية على امتلاك الموجودات التى ننتمى إليهـــا، وننشغل بها، ونشعر نحوها بالهم". ويؤكد أن "الوجود - فى - العالم" يعبر عن حالة وجودية للآنية، كما أنه صـــفة وجودية لها؛ فلا يمكن تصوره على أنه وجود - فى - متناول اليد لشىء مادى فى موجود آخر يكون أيضاً - فى - متناول اليد. وإذا كانت الآنية " كامنة " فى العالم، فإن ذلك لا ينفى إدراكها إلا عن طريق الآخرين، فالإنـــسان لا يمكنه أن يوجد إلا فى عالم، ولا ينبغى أن ننظر إلى "الوجود - فى - العالم" على أنه صفة للآنية فحسب؛ لأنها لا تتوقف لحظة عن "الوجود - فى - العالم".

انظر: صفاء عبد السلام جعفر: الوجود الحقيقى عند مارتن هايدجر، منشأة المعارف، الإسكندرية، ٢٠٠٠ م، ص ص ١١٤ - ١١٥.

(22) نقلاً عن: ريجيس جوليفيه: المذاهب الوجودية من كيركجور إلى جان بول سارتر، ص ص ٢٨٤-٢٨٥، ٢٨٩.

(23) بولس سلامة: الصراع فى الوجود، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٤م، ص ص ٣٧٦-٣٧٧.

وكذلك: زكريا ابراهيم: دراسات فى الفلسفة المعاصرة، ج (١)، ص ٤٩٥.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يقول مارسيل فى مؤلفه "فلسفة الوجود": "وبادىء ذى بدء، يمكننا أن نـدرك سـر التجسد فى الوجود - الذى يتكشف لنا من خلال النفس المتجسدة فى السر الأنطولـوجى". وعلى هذا، فإن حقيقة التجسد مهما كانت غامضة فى ذاتها، إلا أنها فى أصـل وجودنـا. ومن ثم فإننا نلتقى بأكثر الأفكار تناقضاً عند مارسيل، نلتقى بالسر المسيحى للتجسد، فهـو إلى حد ما امتداد للسر الأنطولوجى. والحقيقة أن مارسيل لم يوضح ذلك إلا فى إشـارات غامضة متناثرة خلال يومياته الميتافيزيقية التى دونها فى النصف الثانى من عام ١٩٢٠م والنصف الأول من عام ١٩٢١م؛ بيد أن تحليله الوجودى لفكرة "جسمى" قـد أثبـت مـع معنى الجسم الموضوعى الخاضع لقوانين الطبيعة معنى لجسم هو الذى يمكن أن يـصبح صالحاً لبعث وقيامة وحياة أبدية[٢٤].

ومما لا شك فيه أن الاتجاه الذى نتبينه عند مارسيل والذى ينظر إلى مسألة الجـسد فى ضوء تجسد المسيح، هو اتجاه ذو طابع دينى يعتمد أساساً على فكرة دينية مسيحية هى فكرة تجسد الكلمة[*]، وهذه الفكرة نفهم منها مباشرة أن للجسد فى المسيحية معانٍ أخـرى غير معناه الموضوعى الخاضع لقوانين الطبيعة. وابتداءً من هذا المعنـى الـدينى لفكـرة التجسد يتأكد عند مارسيل الاتصال التاريخى للأنا المتجسد. فإذا كانت حقيقة التجسد عنـد مارسيل هى فى أصل وجودنا، وهى بهذا تُشكل عنده سراً أنطولوجياً، فإن سـر التجـسد المسيحى لا يأتى - رغم غموضه - مناقضاً للوجود، وهو لا يقطـع الاتـصال التـاريخى للوجود الجسدى، وإنما يتسق معه. ومن هنا يجىء تصور مارسيل للحياة الأبدية على أنها لا يمكن أن تكون خارج الجسم. وهكذا تحولت مشكلة البعث الجسمانى عند مارسيل إلـى سر يستوحى الأسرار المسيحية[٢٥].

---

(24) حبيب الشارونى: فكرة الجسم فى الفلسفة الوجودية، ص ص ٨٤-٨٥. وكذلك:
Marcel, Gabriel.: The philosophy of Existence, P. 27

(*) التجسُّد عقيدة أساسية من عقائد المسيحيين، إذ يؤمنون بأن رسالة الله الأزليّة وغير المخلوقة تجسَّدت وسكنت بينهم فى شخص الإنسان يسوع، أو بعبارة أخرى إن رسالة الله - أى كلمته - أُوحيَت فى يسوع الإنسان. وعليه فإن يسوع لا يَنقل كتاباً مُوحى، بل يُجسِّد وحى الله؛ إنه وحى الله.
انظر: الأب تومَاس ميشَال اليَسوُعىّ: مدخل إلى العقيدة المسيحية - محاضرات أُلقيت فى كلية الشريعة الإسلامية بأنقرة (تركيا)، نقلها عن الإنجليزية: الأب كميل حشيمه اليَسوُعىّ، ط (٢)، دار المـشرق، بيـروت، ١٩٩٥ م، ص٥٥.

(25) حبيب الشارونى: فكرة الجسم فى الفلسفة الوجودية، ص ص ٢٠٢-٢٠٣، ص ٢١٤.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إذن، فإن الحضور فى فلسفة مارسيل يبدأ من الأنا وينتهى إلى الله، فبفضل التجسد الإلهى يكون الله حاضراً لى، وبفضل تجسدى أتقبل الإله المتجسد[٢٦].

(ب) التمييز الأنطولوجى بين الوجود والمِلك:

يرى مارسيل أن هاتين التجربتين: تجربتى لجسمى، وتجربتى لانتمائى إلى العالم، تفرضان علىّ شعوراً بضرب من التعارض بين عمليتين أساسيتين هما "الوجود والمِلك" l'être et l'avoir، وهذه تفرقة هامة فى فلسفة مارسيل، إذ يعتبر تحليل فكرة المِلك مدخلاً إلى معرفة الوجود[٢٧].

وقد بدأ مارسيل يعبر عن هذا المعنى فى مؤلفه "يوميات ميتافيزيقية" بتاريخ ١٦ مارس عام ١٩٢٣م، فقال: "الواقع إن كل شىء يرجع إلى التمييز بين ما للإنسان وما عليه الإنسان: ملكه ووجوده. غير إنه من الصعب جداً التعبير عن هذا التمييز على شكل تصورى، ومع ذلك فينبغى أن يكون هذا ممكناً. إن ما يملكه الإنسان يمثل نوعاً من التخارج بالنسبة إلى الذات؛ أى أنه شىء خارجها، وهذا التخارج ليس مع ذلك مطلقاً، ولا أستطيع أن أملك بالمعنى الدقيق للفظ غير الشىء الذى يَملك وجوداً مستقلاً عنى إلى حد ما، وبعبارة أخرى: ما لى ينضاف إلى ذاتى[٢٨].

وابتداءً من هذه الفكرة يأخذ مارسيل فى عرض آرائه فى البحث الذى ألقاه فى نوفمبر عام ١٩٣٣م فى الجمعية الفلسفية بليون بعنوان: "مخطط لظاهريات المِلك". فيميز بين شكلين للمِلك: "المِلك- الامتلاك" أى مِلك لشىء من الأشياء أو صفة من الصفات (وهذه الفكرة ترتبط بفكرة القوة)، و "المِلك- التضمن" وفيه يعلو الإنسان على هذا المستوى لكى يشارك فى الوجود؛ بيد أن السمة الخاصة بالمِلك فى الحالتين هى أنه قابل لأن يعرض وأن يُعرض "للغير"[٢٩].

ويرى مارسيل (أن معنى المِلك لا يختلف من حيث مبدأ المِلك)؛ بيد أن المِلك لا يقوم إلا حيث يوجد تعارض بين الظاهر والباطن، وهذا ينطبق تماماً على "المِلك-

---

(26) المرجع نفسه، ص ٢٣٠.
(27) فؤاد كامل: مدخل إلى فلسفة الدين ودراسات أخرى، ص١٠٠.
(28) نقلاً عن: عبد الرحمن بدوى: دراسات فى الفلسفة الوجودية، ط (١)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٠م، ص ٢٤٨.
(29) ريچيس جوليفيه: المذاهب الوجودية من كيركجور إلى چان بول سارتر، ص ص ٢٨٥-٢٨٦.
وكذلك: عبد الرحمن بدوى: دراسات فى الفلسفة الوجودية، ص ٢٤٨.
وكذلك: فؤاد كامل: فلاسفة وجوديون، ص ٧٤.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

التضمن". فمثلاً حين أقول: " لهذا الجسم هذه الخاصية"، فإن هذه الخاصية تبدو أنها كائنة فى باطن هذا الجسم، وحين أقول: " لدىّ سر" فهنا يبدو البطون أكبر من الظهور، ومع ذلك فإن المميز الرئيس للمِلك هو إمكان الظهور والعرض(٣٠).

ويتأدى من هذا بيان أن المِلك يقتضى فكرة الإشارة إلى الغير من حيث هو غير. يقول مارسيل فى مؤلفه "الوجود والمِلك": " فالمِلك لا يقوم إذن فى سجل البطون المحض فقط، وإلا لما كان له معنى، بل وأيضاً فى سجل: الظهور والبطون فيه لا يُمكن الفصل بينهما. وأعتقد أن المهم هنا هو التوتر نفسه بين الواحد والآخر"(٣١).

والمِلك- بما هو كذلك- يقع فى سجل لا ينفصل فيه ما هو خارجى عما هو داخلى بحيث يقوم بين الواحد والآخر علاقة توتر متبادل تنشأ عن أن الشىء المملوك خاضع للتقلبات، وهى دائماً باستمرار تتعرض لإحباط الجهد الذى أبذله لإدماجه فىّ وجعله وإياى شيئاً واحداً، فهو بهذا مركز لنوع من الدوامة التى نسيجها المخاوف وألوان من القلق. ومن وجهة النظر هذه يبدو أن الجسم هو نمط المِلك، فهو بلا منازع "الخارجية" الداخلة فى اتصال مع "الأنا" عن طريق الداخل. وكلما ارتبطت بجسمى جاعلاً خارجيته الجزئية "شبه- داخلية"، فإنى أُعدم فى هذا الارتباط، ويستوعبنى الجسم الذى اعتبر نفسى وإياه شيئاً واحداً. "ويبدو أن جسمى يلتهمنى بالمعنى الحرفى لهذه الكلمة"، وهذا ينطبق أيضاً على جميع ممتلكاتى التى تتصل به أياً كان هذا الارتباط(٣٢).

وهكذا يتبدى لنا المِلك على أنه ينزع إلى القضاء على الوجود، وإلى إذابته فى ملكه نفسه: فالمِلك- فى حده الأقصى- ينزع إلى إذابة الوجود. ومن ثم يُمكننا القول: "إنه كلما زاد المِلك، قل الوجود" والعكس صحيح. ولكى أستطيع أن أجعل المِلك فى خدمة الوجود، ينبغى أن أسيطر بصورة إيجابية على الصلة بين الذات والموضوع، بين "الداخلية" و "الخارجية"، بحيث يصبح الموضوع الخارجى مناسباً ومادة للإبداع الشخصى الحر. وبهذا يتحول المِلك إلى وجود، ويكون حينذاك تعبيراً حياً عن الواقع الذى أكونه(٣٣).

---

(30) عبد الرحمن بدوى: دراسات فى الفلسفة الوجودية، ص ص ٢٤٨-٢٤٩.
(31) نقلاً عن: المرجع نفسه، ص ٢٤٩.
(32) ريچيس جوليڤيه: المذاهب الوجودية من كيركجور إلى چان بول سارتر، ص ٢٨٦.
(33) المرجع نفسه، المكان نفسه.
وكذلك: فؤاد كامل: مدخل إلى فلسفة الدين ودراسات أخرى، ص١٠١.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إذن، فإن الحياة فى مستوى المِلك هى فقد لتجربة وجودية أصيلة، وذلك لأننى أتخلى عما أكونه، وأصبح ما أمتلكه؛ أى أنحصر فى شىء، ومن جهة أخرى فإنه لا يُمكننى أن أكون بمعزل عن مستوى أعلى من عالم المِلك. هذا، وتجدر الإشارة إلى أن التوتر القائم بين "المِلك والوجود" أى (ما أملك وماذا عساى أن أكون) أمر طبيعى وضرورى، وكل محاولة لإلغاء هذا التوتر أو الحد منه و القضاء عليه؛ أى القضاء على المِلك- تؤدى إلى احتجاب الوجود. وتتحقق الحياة بحل هذا التوتر الناجم عن هذه العلاقة- فى الاستجابة إلى النشاط الإبداعى، وبذلك فإنه لا يتم القضاء على المِلك، ولكن يتم استيعابه فى الوجود(٣٤).

ويتحدث مارسيل عن الجسم بوصفه "منطقة تخوم" بين الوجود والمِلك. وفى هذه المنطقة المتوسطة يكمن السر الميتافيزيقى للوجود، والجسم هو رمز لهذه المنطقة. فعلاقتى بجسمى ليست علاقة مِلك، بمعنى أننى أمتلك جسمى كمجرد أداة أتصرف فيها، ولكنها تُعد فى الوقت نفسه النموذج الأصلى للمِلك، من حيث إن المِلك يتميز بالمحايثة والظهور فى آن واحد: (المحايثة) لأننى أوحد بين ذاتى وجسمى، و(الظهور) لأنه مع ذلك يندّ عنى. ولهذا اعتبر مارسيل الجسم النموذج الأصلى والنواة التى تُعبر عن أعمق ما فى المِلك. هذا، ويرى مارسيل أنه لابد من العلو على مستوى المِلك نحو المشاركة فى الوجود، مما يعنى أن المِلك أدنى مرتبة من الوجود عند مارسيل (٣٥).

(ج) الوجود سر الأسرار- فى ضوء التمييز بين المشكلة والسر:

يريد مارسيل أن ينتقل بالتساؤل عن "الوجود" من مجال "المشكلة" إلى مجال "السر"، فالوجود هو سر الأسرار فى ضوء التمييز بين المشكلة والسر. والواقع أن الوجود لـــيس مشكلة، بل هو سر؛ وما يُميز "المشكلة" أنها "شىء موضوعى" يُمكن أن يوضع أو يثار؛ إذ إنها تتعلق بشىء يوجد بكامله خارجاً عنى، وبالتالى يمكن أن يمثل أمامنا عائقاً يسد الطريق أمام تفكيرنا. أما "السر" فهو ما أجد نفسى مندمجاً فيه، ممتزجاً به، مطوياً فى أعماقه، بحيث لا يكون هناك موضع للتفرقة بين ما هو "فى ذاتى" وما هو "أمام ذاتى". فالسر لا يُمكن أن نقوم بحله أو تحديده، إننا نتعرف عليه بنوع من الوجدان دون أن نعرفه(٣٦).

---

(34) Blackham, H.J.: Six Existentialist Thinkers, PP.72-73.

(35) جاك شورون: الموت فى الفكر الغربى، ص ص ٢٧٢-٢٧٣.
وكذلك: حبيب الشارونى: فكرة الجسم فى الفلسفة الوجودية، ص ص ٨٣-٨٤.

(36) المرجع نفسه، ص ٨٣.
وكذلك: زكريا ابراهيم: دراسات فى الفلسفة المعاصرة، ج(١)، ص ص ٤٨٨-٤٨٩.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يقول مارسيل في مؤلفه "سر الوجود": "إن المشكلة شيء أواجهه، وبالتالى فإنه يمكننى أن أحصرها وأُخضعها أو أحدّ منها، ولكن السر فهو شيء أنا نفسي مشارك فيه، وبالتالى فإنه لا يُمكن أن ينزل السر إلى مرتبة المشكلة". ويقول أيضاً: "إن المشكلة الأنطولوجية هى فى الواقع سر... والصعوبات الأولى التى تواجهنا والتى يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار تنشأ من مصطلحاتنا فى حد ذاتها". ومن ثم يُمكن القول إن "السر" هو المحور الرئيس لفلسفة مارسيل بأسرها، إذ إنه تجربة ثابتة لا سبيل إلى الشك فيها تفر فى مبدأ الوجود(٣٧).

كما يقول مارسيل فى "الوجود والمِلك" وأيضاً فى "من الإباء إلى النداء": "وما هناك من مفارقة فى الحقيقة، وفى كل ما هو واقع سواء كان واقعى أنا أو واقع العالم، هو أنه على العكس من ذلك، لا يكون متصوراً لنا إلا من حيث هو سر... إلى درجة أنه- كما يُضيف مارسيل (بغير السر تُصبح الحياة غير صالحة لأن نتنفسها)(٣٨).

(د) الأساس الأنطولوجى للعلاقة بين "الأنا" و"الأنت"، وما تنطوى عليه من مفارقة:

يرى مارسيل أن أول لقاء مباشر يتم بيننا وبين ما أطلق عليه "سر الوجود" إنما يتحقق عبر "المشاركة" الحية، إذ تتسم المشاركة بالطابع الوجودى، والرابطة العميقة التى تتحقق عبر "المشاركة" إنما هى النموذج الحى لتلك العلاقة الجوهرية التى تجمع بين الإنسان و"سر الوجود". والبحث عن الوجود الحق عند مارسيل يقوده نحو الوجود المتبادل بين الذوات الفردية والحوار الخلّاق بين "الأنا" و"الأنت". وهذا الوجود لا يظهر لى إلا حين أكف عن النظر إلى "الآخر" بوصفه موضوعاً، أو أداة فى خدمة أهدافى، وأبدأ فى النظر إليه على أنه غاية فى ذاته، وأن له قيمته الخاصة به التى تعادل قيمتى. ومن ثم فإن مارسيل يبدأ من الحوار مع الآخرين، ومن التواصل معهم، إذ إن الاتصال الحقيقى بين الذوات لا يكاد يحدث إلا فى لحظات "التلاقى الوجودى"، وهذا التلاقى الحقيقى هو الذى تتكشف لنا فيه "ذات" أخرى بوصفها "أنت"، أعنى باعتبارها مركزاً شخصياً للذاتية(٣٩).

---

(37) Blackham, H.J.: Six Existentialist Thinkers, P.69.

وكذلك:

Marcel, Gabriel.: The Mystery of Being II, (Faith & Reality), P. 18.

وكذلك:

Marcel, Gabriel.: The Mystery of Being I , (Reflection& Mystery), Henry Regnery Company Chicago, Illinois, 1960, PP.211-212.

(38) نقلاً عن: ريچيس جوليڤييه: المذاهب الوجودية من كيركجور إلى چان بول سارتر، ص ٢٩١.

(39) زكريا ابراهيم: دراسات فى الفلسفة المعاصرة، ج(١)، ص ص ٤٩٦:٤٩٩.

وكذلك: فؤاد كامل: أعلام الفكر الفلسفى المعاصر، ص ٢٣٠.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يقول مارسيل فى مؤلفه "من الإباء إلى النداء": " تشير (أنت) إلى اتصال الواحد بالآخر، وتكوين وحدة حيوية بينى وبينه"، والأنا - كما يقول مارسيل - لا يوجد إلا بقدر ما ينظر إلى نفسه على أنه موجود للآخرين، " وكلما نجحت فى تحرير نفسى من سجن التمركز الذاتى، تزايد وجودى فى الواقع الفعلى". وعلى هذا، فإن العلاقة بين "الأنا" و"الأنت" هى أيضاً سر من الأسرار. يقول مارسيل فى "سر الوجود": " فى الحقيقة إننا نتمكن من فهم أنفسنا من خلال البدء من الآخر... وذلك لأن وجودى يتضمن وجود الآخرين" (*)(٤٠).

ويقول مارسيل فى "الإنسان الجوّال: مقدمة فى ميتافيزيقا الأمل": " إن علاقة (الأنا - الأنت) تنطوى على مفارقة؛ فأنا أسعى إلى أن أؤكد نفسى من خلال الآخر (الأنت)، وهذا (الأنت) يُعزز وجودى، إذن فأنا أُدرك وجودى من خلال وجود الآخر". ومعنى هذا أن الآخر هو الذى يمنحنى فكرتى الأولية عن الوجود، وبمقدار ما أعتقد فى وجود الآخر، فإننى أؤكد وجودى. وبالتالى فإننى لا يمكننى أن أحقق علوّاً فى الوجود إلا من خلال علوّ الآخر ووجوده، إذ إن العلو يتحقق عبر الحضور والمشاركة(٤١).

إذن، فإن "الأنت" هو الحضور المباشر، والواقع أن الحضور فى فلسفة مارسيل يبدأ من "الأنا" وينتهى إلى "الله" (الأنت المطلق)، وذلك فى سلسلة متماسكة من الاتصالات: فأنا حاضر للآخر، والآخر حاضر لى، وأنا حاضر لله، والله حاضر لى، ويقوم بينى وبينه اتصال وثيق. ومعنى هذا أن "الأنا" عند مارسيل هو فى جوهره اتصال بالأنت، وينتهى

(*) يمكننا مقارنة هذا المعنى بمفهوم الوجود المشترك عند هايدجر، إذ ذهب هايدجر إلى أن فكرة " الوجود - مع - الآخرين - فى - العالم" هى الأساس الوحيد الممكن للتحليل الأنطولوجى للآنية، وأن هذا الأساس يحدد طريقة وجود الآنية مع الآخرين، وطريقتها فى تحليل ذاتها؛ فالآنية بوسعها أن تدخل فى علاقات مع الآخرين فقط لأن وجودها ينكشف فى صورة "الوجود - مع"، وأن هذه البنية الأساسية للآنية هى بمثابة الأساس الوجودى لكل ما نتحدث عنه عادة تحت اسم العلاقات الإنسانية فى المجتمع الإنسانى.

انظر: صفاء عبد السلام جعفر: الوجود الحقيقى عند مارتن هايدجر، ص ١٨٣، ١٨٥.

(40) نقلاً عن: على عبد المعطى: أعلام الفلسفة الحديثة، ج (٢)، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٧م، ص ص ٢٨١ - ٢٨٢.

وكذلك: فؤاد كامل: مدخل إلى فلسفة الدين ودراسات أخرى، ص١٠٣. وكذلك:

Marcel, Gabriel.: The Mystery of Being II, (Faith & Reality), P. 8, 33.

(41) Blackham, H.J.: Six Existentialist Thinkers, P. 74, 83.

وكذلك:

Marcel, Gabriel.: Homo Viator, Introduction to A Metaphysic of Hope, Translated by: Emma Craufurd, Harper& Brothers, New York, 1962, P. 16.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مارسيل إلى إمكان قيام الاتصال بين "الأنا" و"الأنت" التى تتصاعد فتصبح "الأنت المطلق"[٤٢].

(٢) المفارقة فى الظواهر الوجودية التى تكشف عن سر الوجود عند مارسيل:

إن الإنسان لا يستطيع أن يُفسر نفسه لنفسه أو أن يفهم نفسه إلا إذا انفتح على علوّ، ولقد بيَّن مارسيل ذلك بواسطة تحليلات وجودية متعددة؛ فلكى نتعرض لسر الوجود هناك تجارب ذات ميزة خاصة تُهيىء أنواعاً من الدنو والاقتراب أكثر تحديداً وأشد وضوحاً مثل الأمل والحب والوفاء، وهذا التوضيح يسمح لنا بأن نتبين أن فى الإنسان "ثابتاً أنطولوجياً" معيناً[٤٣].

فالظواهر الوجودية أساسها قائم فى الوجود، وتشارك فى الوجود بوسيلة أو بأخرى، وتمهد إلى نوع من الوجود المطلق. يقول مارسيل فى "سر الوجود": "أعتقد أن التفكير فى الوجود هو فى النهاية- التفكير فى استحالة التعارض بين الوجود وظواهره"[٤٤].

الأمل Hope :

يقترح مارسيل فى كتابه "الإنسان الجوّال" إقامة "فينومينولوجيا" و"ميتافيزيقا" للأمل فى صورة إجمالية، وهى تقوم على أساس تصور إيمانى للكون. فالأمل فى نظره فلسفة حقيقية هى فلسفة التقدم والفعل، إنه فى الواقع التركيب الطبيعى للمصير الإنسانى، وهو التصميم الدائم على الامتناع عن التسليم، وعلى بذل المجهود الذي يجب أن يؤدى عبر كل العقبات التى نتغلب عليها ونتخطاها[٤٥].

يقول مارسيل فى "الإنسان الجوّال: مقدمة فى ميتافيزيقا الأمل": " من الواضح أن هناك شيئاً فى الأمل يذهب أبعد من التسليم، أو من الممكن القول بأنه على وجه الدقة عدم تسليم، ولكنه إيجابى، وبالتالى فإنه يُمكن تمييزه عن التمرد". ويقول فى "الوجود والمِلك":

---

(42) حبيب الشارونى: فكرة الجسم فى الفلسفة الوجودية، ص ص ٢٢٩- ٢٣٠.
وكذلك: فؤاد كامل: مدخل إلى فلسفة الدين ودراسات أخرى، ص١٠٢.
(43) ريچيس جوليڤيه: المذاهب الوجودية من كيركجور إلى چان بول سارتر، ص ص ٢٨٦- ٢٨٧، ٢٩٠.
(44) المرجع نفسه، ص ٢٨٢.
وكذلك: فؤاد كامل: فلاسفة وجوديون، ص ٧٤.
وكذلك: Marcel, Gabriel.: The Mystery of Being II, (Faith & Reality), P 24 .
(45) جون ماكورى: الوجودية، ترجمة: إمام عبد الفتاح إمام، مراجعة: فؤاد زكريا، سلسلة عالم المعرفة، العدد (٥٨)، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، الكويت، اكتوبر، ١٩٨٢م، ص ٦٦.
وكذلك: ريچيس جوليڤيه: المذاهب الوجودية من كيركجور إلى چان بول سارتر، ص ٢٨٧.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

" إننا نجد أنه من الصعب للغاية تعريف الأمل... إذ يبدو لى أن الظروف التى تجعل الأمل ممكناً - هى تماماً الظروف نفسها التى تجعلنا نخضع لليأس"(٤٦).

ويرى مارسيل أن الأمل هو الإبداع المطلوب للتعاون فى الملحمة الكبرى، وبهذا يكتسب كل ممثل كرامة أخلاقية وميتافيزيقية، إذ إننا نستخدم الأمل كوسيلة لتحقيق أنفسنا وتوكيد شخصيتنا، والمحرك فى هذا السلوك هو إقبال معين على الحياة وحماس يأبى الاذعان. والأمل وحده يستطيع أن يتيح لنا - أن ندرك معنى المحنة (الألم والموت) وقيمتها، كما أنه يتيح لنا أيضاً أن نحولها إلى "وجود" أكمل وأشد ثراء. فالوجود لا ينضب، وهذا هو أساس الأمل(٤٧).

إذن، فإن الأمل ذو طابع أنطولوجى، لأنه شعور محرر نعترف معه بأن ثمة سراً، وأن هذا "السر الأنطولوجى" هو الكفيل وحده بتحقيق انطلاقنا. يقول مارسيل فى "فلسفة الوجود": "أعتقد أنه يجب أن يكون التفسير الأنطولوجى للأمل من الناحية الميتافيزيقية، وهذا يقودنا بدوره إلى النظر فى جانب آخر من السر - السر الذى هو واحد وفريد من نوعه، وأنا أسعى جاهداً إلى تسليط الضوء عليه"(٤٨).

هذا، ويرى مارسيل أن الأمل فعل من أفعال الإرادة يستند إلى الإيمان، ويتسم بطابع تنبؤى يمكننا عن طريقه أن نتحدث بيقين عن المستقبل كأننا نراه. يقول مارسيل فى " فلسفة الوجود": " إن الروح التى تفتقد إلى الأمل هى روح مقيدة على نحو متزايد، وأكثر يأساً من العالم... إن الأمل متأصل فى الوجود وله صلة وثيقة بالإرادة "(٤٩).

ومن الوجهة الميتافيزيقية، فإن الأمل ينطوى على نوع من البرهان على وجود المتعالى؛ لأن الأمل هو هذه القوة التى تدفعنا دائماً إلى الصعود المستمر، والاتجاه نحو شىء أعلى من الواقع الذى تعيش فيه الذات. وإننا لنؤكد بواسطة الأمل أننا نؤمن بوجود مبدأ خفى يتواطأ معى سراً - ولا يمكنه هو أيضاً إلا أن يريد ما أريد، على الأقل إذا كان ما أريده يستحق أن أريده، وأن أريده فى الحقيقة من كل قلبى(٥٠).

---

(46) Marcel, Gabriel.: Homo Viator, Introduction to A Metaphysic of Hope, P. 38.
وكذلك: Marcel, Gabriel.: Being and Having, P. 74, 93

(47) المرجع نفسه، ص ص ٢٨٧- ٢٨٨، ٢٩٧.
وكذلك: Blackham, H.J.: Six Existentialist Thinkers, P. 82

(48) زكريا ابراهيم: دراسات فى الفلسفة المعاصرة، ج(١)، ص ٥٠٤.
وكذلك: Marcel, Gabriel.: The philosophy of Existence, P. 19

(49) حبيب الشارونى: فكرة الجسم فى الفلسفة الوجودية، ص ٢٢٠.
وكذلك: Ibid, P. 20,28.

(50) ريجيس جوليفيه: المذاهب الوجودية من كيركجور إلى چان بول سارتر، ص ص ٢٨٧- ٢٨٨.
وكذلك: فؤاد كامل: فلاسفة وجوديون، ص ٧٧.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الحب Love :

الحب هو - فى جوهره- إخضاع الذات لحقيقة أسمى من حيث هى انقطاع للتوتر الذى يربط الواحد بالآخر. إذ يكشف الحب لى عن وجود الآخر، بأن يجعل منه حضوراً بالنسبة لى فى الوقت نفسه الذى أكون فيه حضوراً بالنسبة إليه- "أنا" فى مواجهة "أنت". وهذا الحضور الجسدى يتجاوز فى الوقت نفسه أى معنى موضوعى للجسم، لأن الحب من شأنه أن يحيل الموضوع إلى ذات، ويضفى على "الغائب" نوعاً من "الحضور" يرتبط بوجودنا الشخصى. وذلك لأننا حين نكون بإزاء الشخص المحبوب، فإننا لا نملك أن نجعل منه مجرد "هو"- حتى ولو كان غائباً- لأننا نفكر فيه دائماً باعتباره "أنت"، أعنى أن (غيابه) نفسه هو فى صميمه (حضور)![٥١].

إذن، الحب سر من أسرار الوجود، لأننى أرتبط فيه بكل وجودى وكيانى، وهو يكشف عن الوجود ويفتح التواصل مع "الآخر" فى أكثر أشكاله عمقاً واكتمالاً. يقول مارسيل فى " سر الوجود ": " إن الحب هو الرفض الفعّال للاقتصار على الذات". ويقول أيضاً فى " فلسفة الوجود ": " الحب هو نقطة البدء لفهم سر العلاقة بين النفس والجسم، وهو بطريقة ما تعبير عنها"[٥٢].

ويرى مارسيل أنه بالحب وحده نكون قادرين على مواجهة الوجود دون إحالته إلى مِلك أو إلى موضوع، وهذا هو المُعطى الأنطولوجى الجوهرى. ويقول فى " فلسفة الوجود ": " إن جوهر الحب بقدر ما هو موجود- هو أن أشعر بأن وجودى مبرر، وهنا يمثل الوجود الامتلاء والوفرة ". ومعنى هذا أن الحب يصبح تجربة خالية من المعنى إن لم يتضمن التزاماً ما، التزاماً لا يأتى من الخارج، وإنما ينبثق من أعماق وجودى، وهو يكون ما يشبه إيقاع وجودى نفسه.. ثمة التزام يفرض علىّ أن أجعل معنى وجودى غزيراً، وأن أحيا أكمل ما يكون الوجود امتلاءً[٥٣].

---

(51) حبيب الشارونى: فكرة الجسم فى الفلسفة الوجودية، ص ١٧٧.
وكذلك: ريچيس جوليڤيه: المذاهب الوجودية من كيركجور إلى چان بول سارتر، ص ٢٨٦، ٢٩٤.
وكذلك: زكريا ابراهيم: دراسات فى الفلسفة المعاصرة، ج(١)، ص ٤٩٩.
(52) فؤاد كامل: فلاسفة وجوديون، ص ٧٥.
وكذلك: Marcel, Gabriel.: The Mystery of Being II, (Faith & Reality), P. 62 .
وكذلك: Marcel, Gabriel.: The philosophy of Existence, P. 9.
(53) ريچيس جوليڤيه: المذاهب الوجودية من كيركجور إلى چان بول سارتر، ص ٢٨٦.
وكذلك: فؤاد كامل: مدخل إلى فلسفة الدين ودراسات أخرى، ص١٠٤.
وكذلك: Marcel, Gabriel.: The philosophy of Existence, P.54.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الموت Death:

يقول مارسيل فى " فلسفة الوجود ": " ونحن هاهنا بإزاء الانفتاح على مصطلح "الموت" الذى يتجلى وكأنه اختبار حقيقى للوجود، وهذه نقطة أساسية يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار... إن الموت هو التعبير عن الوجود الذى يرتفع إلى أعلى مستوى روحى يمكن لنا تحقيقه... وهذا ما يبدو لى إذا قرأت خبر وفاة شخص فى صحيفة- هو بالنسبة لى لا شىء سوى مجرد اسم، وهذا الحدث لا يمثل لى سوى إعلان. أما فى حالة الوجود الذى يُمنح لى كحضور، فإن هذا الخبر يمثّل شيئاً آخر تماماً بالنسبة إلىّ" (*)(٥٤).

إن اهتمام المرء بموته الخاص أو موت الأنت ينتمى إلى المِلك، وبقدر ما أضع نفسى أو الآخر فى إطار المِلك، أُصبح ضحية للقلق الذى تثيره رهبة الموت بداخلى. ولكن حينما يتم تصور الموت على مستواه الحقيقى، أى مستوى السر الملغز، فإنه يفقد جوانبه المفزعة ولا يعود يُنظر إليه باعتباره شراً، وإنما يصبح مدخلاً لبعد آخر وانفتاحاً على وجود أكثر امتلاء، فتتزامن اللحظة الوجودية مع الآن الخالدة، ويبدو الموت نفسه بحسبانه إنجازاً. يقول مارسيل فى "الوجود والمِلك": " يمثّل الموت نقطة انطلاق لأمل مطلق"(٥٥).

ومن ثم، يرى مارسيل أن انتصار الموت كما نشاهد فى العالم ليس إلا انتصاراً ظاهرياً، وأن الموت ليس هو الواقعة الأخيرة، ولا له الكلمة العليا. فيقول فى " سر الوجود ": " إن للموت علاقة بالحياة، ولكن هذا الجانب يبقى محجوباً عنّا"(٥٦).

ويتبين لنا مما سبق، أن مارسيل يدعونا إلى التسليم بالموت كسر من أسرار الوجود، ولكن فى الوقت نفسه يدعونها إلى التحرر من وطأته، ومن ثم يصبح الموت امتلاءً وجودياً.

(*) يمكننا هنا مقارنة موقف مارسيل من الموت بموقف هايدجر الذى يقول: " أن الموت هو نوع من الوجود لم نجربه، ويكشف عن نفسه بوصفه فقداناً لا يعرفه سوى الباقون على قيد الحياة... ونحن على الأكثر نرقب موت الآخر من هناك وعن بعد، وإذا أمكننا أن نجعل موت الآخر ممكناً ومحتملاً من الناحية النفسية لأدركنا الوجود طريقاً للموت".
نقلاً عن: صفاء عبد السلام جعفر: الوجود الحقيقى عند مارتن هايدجر، ص ٣٢٨.

(54) Ibid, P. 23.

(55) جاك شورون: الموت فى الفكر الغربى، ص ٢٧٦.
وكذلك: Marcel, Gabriel.: Being and Having, P. 93.

(56) إ. م. بوشنسكى: الفلسفة المعاصرة فى أوروبا، ترجمة: عزت قرنى، سلسلة عالم المعرفة، العدد (١٦٥)، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، الكويت، سبتمبر، ١٩٩٢م، ص ٢٤٢.
وكذلك: Marcel, Gabriel.: The Mystery of Being II, (Faith & Reality), P. 146 .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الوفاء Fidelity:

يقول مارسيل فى " فلسفة الوجود": " إن مفهوم الوفاء عصىّ على الفهم، إذ إنه من الصعب تعريفه من الناحية النظرية؛ وذلك بسبب المفارقة الكامنة فيه والتى لا يُمكن سبر غورها، وعلى هذا فإنه يكون فى صميم نطاق الإشكالية الميتافيزيقية... إن الوفاء - فى الواقع - على النقيض تماماً من الانسياق العاجز، إنه الإقرار الفعّال بشىء أبدى - وفقاً لنمط من القانون الأنطولوجى، وبهذ المعنى فإنه يشير دائماً إلى الوجود أو إلى شىء يُمكننا أن نصونه فى داخلنا، أما طمس هذا المعنى أو تغافله فهو خيانة للوجود، وهذا فى رأيى ما يُخيم على عالمنا كله"(٥٧).

وعلى هذا، فإن الوفاء هو المحافظة على أولوية الوجود والقيم التى يُعبر عنها. يقول مارسيل فى "فلسفة الوجود": " إن الوجود سر من حيث هو وجود، والوفاء هو الاستمرار الفعّال للوجود. إذن، فإن الوفاء أنطولوجى فى مبدأه وهو الذى يُضفى صفة الاستمرار على الوجود، وبالتالى فإنه يُضاعف ويعمق التأثير فى هذا الوجود. هذا، ويتجلى الوفاء فى المشاركة، لاسيما فى الصلة بين الأحياء والموتى التى لا تنضب"(٥٨).

إذن، فإن "الوفاء" تجربة تكشف لى عن معنى الوجود الذاتى، يقول مارسيل فى "فلسفة الوجود": " إن الوجود الحقيقى نوع من التدفّق ينفذ من خلالنا، والوفاء يجعلنا فى حالة إبداع خلّاق يتجلى من خلاله هذا الوجود، وكلمة التدفق بعيدة كل البُعد عن الجانب المادى، إنها نوع من التنامى الداخلى الذى يأتى إلى حيز الوجود كوجود فعّال. وعلى ذلك، فإن هناك تبادلاً غامضاً بين هذا الفعل الحر - "الوفاء" والهبة التى تُمنح له كاستجابة للوجود. وهذا الوجود الذى مُنح لى كحضور أكون عاجزاً عن إدراكه ما لم يكن ماثلاً أمامى؛ بمعنى أنه ليس وجوداً ما لم يكن حضوراً، ولكن من خلال الوفاء ينشأ بينه وبينى علاقة تتجاوز الحضور، إنه بالأحرى يكون ماثلاً بداخلى... وهنا يعلو صوت الوفاء: وإذا لم أستطع رؤيتك وملامستك، فإننى أشعر بأنك فى داخلى"(٥٩).

---

(57) Marcel, Gabriel.: The Philosophy of Existence, PP. 21- 22.

(58) ريچيس جوليڤيه: المذاهب الوجودية من كيركجور إلى چان بول سارتر، ص ٢٩٧.
وكذلك: Ibid, PP. 22- 23.

(59) فؤاد كامل: فلاسفة وجوديون، ص ٧٧.
وكذلك: Ibid, PP. 24- 25.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وبناءً على ما سبق، فإننا لا نجانب الصواب حينما نقول إن "الوفاء" هو شهادة الوجود(*)، إذ إنه لا يتأثر بالغياب أو الموت، ويكون ممكناً فقط فى مستوى معين من العلو فى الوجود(٦٠).

يقول مارسيل فى "الوجود والمِلك": " إن الوفاء التزام دائم، والالتزام يأتى منطقياً قبل الوفاء، بمعنى أنه لا يمكننى أن أكون وفياً إلا من خلال الالتزام، والالتزام يفترض ضمنياً وجود الآخر فى التزام معى. إذن، فإن كل التزام هو استجابة للوجود"(٦١).

والوفاء عند مارسيل ليس مجرد فعل من أفعال الإرادة، إنه يرغمنى بواسطة ديالكتيك هو ومقتضياته الجوهرية على الارتفاع شيئاً فشيئاً حتى أصل إلى (المطلق الإلهى). وعلى ذلك، فإن كل وفاء ما هو إلا نداء إلى الله باعتباره شاهداً وكفيلاً، وهكذا يُصبح الالتزام شهادة بأعمق وأخفى ما فيه، وهذا معناه فى نهاية الأمر التسليم لله(٦٢).

الحرية Freedom:

يختتم مارسيل الجزء الثانى من كتابه "سر الوجود" بأن يبين أن فلسفة الوجود هى أيضاً فلسفة حرية، إذ إن لمفهوم "الحرية" دوراً هاماً فى توضيح دلالة (الخبرة الحية) أو (التجربة العينية) عنده، فيقول: "إن واقع خبرتى المعيشة يفرضّ علىّ سؤالاً أولياً: ما الحدود التى يمكننى من خلالها أن أؤكد أننى وجود حر؟ وهذا السؤال موجه من نفسى إلى نفسى فقط، وأية إجابة خارجية لن ترضينى ما لم تتطابق مع إجابتى الخاصة، إذا لم تكن فى نهاية المطاف هى إجابتى. وهنا لا يمكن أن أتغاضى عن الصعوبة التى أواجهها والتى أصبح مشاركاً فيها بمجرد أن أسأل نفسى هذا السؤال"(٦٣).

(*) يمكننا مقارنة هذا المعنى عند مارسيل بمفهوم " نداء الضمير" عند هايدجر، الذى يرى أن الآنية منذ البداية تعانى من فقدان الذات، ولكى تعثر على هذه الذات من جديد عليها أن تصبح حرة كى تمتلك وجودها- الممكن، وعليها أن تكون نفسها، وتحتاج فى ذلك إلى شهادة Bezeugung تحرر ممكناتها، وتحقق هذه الشهادة عن طريق "صوت الضمير"، وهذه الشهادة من وجود حقيقى يمتلك نفسه، وينتصر عليها، وينتزع نفسه من السيطرة الأولى للناس، علماً بأن الشاهد الحى فى جذور الآنية إنما هو ظاهرة واقعية تعبر عن قدرتها على اختيار إمكانية وجودها الحقيقى.

انظر: صفاء عبد السلام جعفر: الوجود الحقيقى عند مارتن هايدجر، ص ٣٥٤.

(60) Blackham, H.J.: Six Existentialist Thinkers, P. 74, 76, 83.

(61) Marcel, Gabriel.: Being and Having,P. 42, 46.

(62) حبيب الشارونى: فكرة الجسم فى الفلسفة الوجودية، ص ٢١٤.

وكذلك: ريجيس جوليڤيه: المذاهب الوجودية من كيركجور إلى چان بول سارتر، ص ص ٢٩٦- ٢٩٧.

(63) زكريا ابراهيم: دراسات فى الفلسفة المعاصرة، ج(١)، ص ٥٠٠.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وعلى هذا، فإن الحرية لا تتكشف لنا اللهم إلا فى اللحظة التى تتجه فيها الذات نحو الداخل. فحينما أقبل موقفى الإنسانى بحرية، وحينما تكون حياتى متجسدة مع اختيارى كشخص إنسانى - فإن كل فعل من أفعالى يتكامل تكاملاً عضوياً فى كلية هى " كلية وجودى"، فالحرية تكشف عن نفسها فى الاختيار. يقول مارسيل: " إن عبارة (أفعل ما أريد أن أفعل) يحيط بها هالة من الغموض، إذ يتراءى لنفسى أننى حر فقط عندما أنجح فى استخدام إرادتى فى مقابل رغبتى الخاصة، بشرط أن تتجسد الإرادة فى أفعال تُمثّل جزءاً من الواقع أو الحقيقة، ولكننى على أية حال أتحمل المسؤولية كاملة تجاه فعلى الخاص... إن حريتى لا يمكن أن تكون مجرد شيئاً ألاحظه أو أراقبه كحقيقة خارجية، إنها بالأحرى يجب أن تكون شيئاً أقرره دون أى نداء، فما وراء قوة الرفض لأى قرار تُؤكَد الحرية، وهذا التأكيد مرتبط أساساً بالوعى الذى لدىّ عن نفسى"(٦٤).

ويقرر مارسيل فى أكثر من موضع أن الحرية تتكشف لنا فى مجال السر لا فى مجال المشكلة، فالحرية سر من أسرار الوجود، لأنها متضمنة فى باطن الفكر الذى يحاول البحث عن معناها، إذ إننا نرى فيها حقيقة دفينة تُكوّن القرار الباطنى للذات الإنسانية. هذا، ويرى مارسيل أن حرية الذات الإنسانية تتجلى بصفة خاصة فى عملية خلق الذات لنفسها بنفسها، وفى اتجاهها باستمرار نحو العلو على نفسها. وذلك لأن الذات ليست واقعاً أو موضوعاً، بل هى حرية. وليس فى وسع الذات أن " توجد" دون أن "تعلو" على نفسها، فإن هذا التعالى لا يعنى فى الحقيقة سوى حركة الذات المستمرة فى نزوعها نحو الوجود الحقيقى(٦٥).

(3) المفارقة فى مفهوم مارسيل عن الإيمان وعلاقة ذلك بالسر الأنطولوجى:

يقول مارسيل فى "سر الوجود": " فقط من خلال قبول هذه المفارقة: إن الحقيقة ليست سوى شيئاً بعيداً لا متناهياً، وإنها فى الوقت نفسه قريبة تماماً - نأمل فى التوصل إلى فهم عميق للإيمان... هناك أوقات يبدو لى فيها أن إيمانى غريب، وذلك فى اعتقادى بسبب أن ثمة فجوة بين اعتقادى أو صلاتى وانعكاسها علىّ أو تأثيرها فىّ، وهذا لا يُمكن

وكذلك: Marcel, Gabriel.: The Mystery of Being II, (Faith & Reality), P. 109 .

(64) المرجع نفسه، ص ٥٠١.

وكذلك: على عبد المعطى: أعلام الفلسفة الحديثة، ج (٢)، ص ٢٦٩.

وكذلك: Ibid, PP. 110- 111, 113.

(65) زكريا ابراهيم: دراسات فى الفلسفة المعاصرة، ج(١)، ص ص ٥٠١-٥٠٢.

وكذلك: فؤاد كامل: فلاسفة وجوديون، ص ٧٥.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أن يكون محض صدفة، وإنما هذه الفجوة التى بينى وبين نفسى تبدو أنها متضمنة فى ما أنا عليه، وهذا ما ينبغى علىّ مواجهته"[٦٦].

يرى مارسيل أننا نحصل من طريق الإيمان على نوع من الكشف المتعلق بالله الذى يصبح بالنسبة لى " أنت" هو " الأنت المطلق" و "حضرة"، ولكن حتى من هذا الجانب القريب من الإيمان حيث تُكتسب حضرة الإله حقيقة، فإن الوجود - أياً كان - لا يكاد يُدرك من الداخل، فإنه لا يكف عن أن يُقدّم إلى الفيلسوف ذلك السر المتعدد لوجوده وتكيفه مع بقية العالم. وهذا السر ذو المظاهر المتعددة هو سر "حضور" - كما أنه نداء لحضورنا الخاص. وهكذا نرى إلى أى حد يُمكن للميتافيزيقا أن تفضى إلى التصوف، وأنها كانت بطريقة ما حوار وصلاة فعلاً[٦٧].

يقول مارسيل فى "فلسفة الوجود": "إن الإقرار بالسر الأنطولوجى يكمن فى المعقل الرئيس للميتافيزيقا، ومما لا شك فيه أنه ممكن فقط من خلال نوع من الكشف ينطلق من الإيمان، وإدراكه يتم فى أسمى حالات التجربة الإنسانية. وعلى هذا، فإنه يُمكّن أولئك الذين بلغوا إدراكه من الكشف والمخاطرة فيما وراء حدود عالم الإشكالية"[٦٨].

إذن، فإن الإيمان حقيقة أبعد عمقاً فىّ مما أنا عليه بالنسبة لنفسى، والإيمان لا يُمكن إلا أن يكون تسليماً، أو هو - بتعبير أدق - لا يُمكن إلا أن يكون كشفاً. يقول مارسيل فى "سر الوجود": " لا يُمكن إنكار أن المؤمن يتراءى له أن التسليم للمطلق هو المطلوب منه من قبل الوجود، الذى فيه يملك الإيمان، ولكن يبدو أنه من الصعب للغاية الحفاظ على هذه الصيغة؛ وذلك لسبب بسيط وهو أن عالمنا يصعب فيه التمييز بين الإرادة وبين ما هو مسموح به فقط"[٦٩].

يقول مارسيل فى "الوجود والمِلك": " ولا بد قبل كل شىء من أن (نريد) الإيمان... ذلك أنه - ولا يُمكن إلا أن يكون - شهادة مستمرة"[٧٠]. ويقول أيضاً فى " فلسفة الوجود": " إن هذا المصطلح - الشهادة - يحيط به هالة من الغموض، فالشهادة مفترضة ومُعطاه قبل العلو Transcendence... إن الشهادة هى دائماً وحتماً أنا، إنها الوجود الإنسانى الفردى

---

(66) Marcel, Gabriel.: The Mystery of Being II, (Faith & Reality), PP.53-54, 126.

(67) ريچيس جوليفيه: المذاهب الوجودية من كيركجور إلى چان بول سارتر، ص ٢٩٥.

(68) Marcel, Gabriel.: The philosophy of Existence, P. 31.

(69) المرجع نفسه، ص ٢٩٨.

وكذلك: Marcel, Gabriel.: The Mystery of Being II, (Faith & Reality), P. 103

(70) نقلاً عن: المرجع نفسه، ص ص ٢٩٨-٢٩٩.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فى هويته الأصلية، وجوهر الشهادة هو الالتزام؛ فكل شهادة تستند على الالتزام، أن تكون غير قادر على الالتزام، هو أن تكون غير قادر على الشهادة. والشهادة تُلزم وجودى بأكمله كشخص مسؤول عن تأكيد ذاتى، وهذا التوتر بين الالتزام الداخلى والنهاية الموضوعية يبدو لى أسمى درجات الوجود. وما يهمنا هو الكشف عن صلة الشهادة بالعالم- وذلك من خلال تحديد نمط الانتماء إليه. والحقيقة إننا شهود، وهذا تعبير عن نمط انتمائنا إلى العالم"(٧١).

وعلى هذا، فإن الوجود عند مارسيل هو أن يصنع الإنسان نفسه بأن يعلو عليها ويتجاوزها صاعداً نحو المتعالى، وهذا العلو لا يكون بغير إيمان، فلا يُمكن أن تتحقق ذاتى إلا بعد الارتباط بالله عن طريق الإيمان. يقول مارسيل فى " سر الوجود": " إن الحاجة إلى العلو هو ختام ما توصلنا إليه"(٧٢).

والوجود أيضاً عند مارسيل هو "المشاركة"، والمشاركة تفترض الانفتاح؛ انفتاح على الله للشعور بوجوده؛ فالوجود هو الصلة التى تربط بين "الأنا" و "الأنت المطلق". ومن ثم فإن واجبى هو أن أبقى متأهباً باستمرار للإلهام الإلهى نازعاً نحو الاتحاد الكامل بقدر الإمكان، والمحافظة على أولوية الوجود، وذلك لأن العلو لا يتحقق إلا من خلال المشاركة فى حياة الموجود المتعالى، وهذا معناه فى نهاية الأمر التسليم لله(٧٣).

والحق إن الإيمان- فى رأى مارسيل- لا يخرج هو نفسه عن كونه فعلاً من أفعال الحرية التى تريد أن توثق أواصر العهد بينها وبين الله. إذ يقول مارسيل فى "يومياته الميتافيزيقية" عن المشاركة:

"إنها تلك العلاقة بين الحرية الإنسانية والحرية الإلهية". وحين يتحدث مارسيل عن الإيمان، فإنه يتحدث عن ضرب من العهد القائم على الثقة والوفاء، فيقول: "إن الإيمان فى حد ذاته شهادة مستمرة، والوسيط بين الإيمان والشهادة هو الوفاء". أما عن الحب فيقول "إن الحب لا يُمكن فصله عن الإيمان، وفى الحقيقة إنه الإيمان نفسه"(٧٤).

---

(71) Marcel, Gabriel.: The philosophy of Existence, P. 67: 69, 70-71.

(72) فؤاد كامل: فلاسفة وجوديون، ص ٧٦، ٧٩.

وكذلك: Marcel, Gabriel.: The Mystery of Being II, (Faith & Reality), P. 47

(73) زكريا ابراهيم: دراسات فى الفلسفة المعاصرة، ج(١)، ص ٥٠٣.

وكذلك: فؤاد كامل: أعلام الفكر الفلسفى المعاصر، ص ٢٣٢.

(74) زكريا ابراهيم: دراسات فى الفلسفة المعاصرة، ج(١)، ص ٥٠٣.

وكذلك: عبد الرحمن بدوى: دراسات فى الفلسفة الوجودية، ص ٢٤٦.

وكذلك: Marcel, Gabriel.: Being and Having,P. 215

وكذلك:. Marcel, Gabriel.: The Mystery of Being II, (Faith & Reality), P. 62

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وخلاصة القول: إننى بالصلاة والعبادة أشارك فى منبع وجودى وفى اتحاد لا يبلغ مداه التعبير. فالمؤمن حاضر كلياً فى تضرع إلى الله "الأنت المطلق"، ويسعى إلى أن يحيا فى هذا الوجود الكلى للآخر. وبالتالى فإن المؤمن هو شهادة الوجود. وعلى الرغم من ذلك فإن مارسيل يضيف قائلاً: "إنه كلما اقتربت النفس من الإيمان، ازدادت اقتناعاً بأنها عاجزة تمام العجز عن إيجاده"(٧٥).

(٤) رؤية نقدية:

إن الإنسان المعاصر يعانى من مختلف ألوان فقدان الذات لذاتها، إذ إنه يسير نحو فقدان " ثقله الوجودى" شيئاً فشيئاً. وعلى هذا، فإن مارسيل يُحذّر - فى إطار فلسفته العينية، التى تتمسك بالوجود العينى المشخص - من الخطر الذى يواجهه الإنسان المعاصر؛ من حضارته المادية والتكنولوجية الضخمة، تلك الحضارة التى تُهدد شخصية الإنسان وتُهدر حريته، وتحيل "السر الأنطولوجى" إلى وهم وخرافة. وذلك لأن عالم التقنية جعل الذات مشتتة فى مواجهة الموضوعات، وهذا من شأنه أن يؤدى إلى النظر إلى الذات على أنها هى الأخرى موضوع من بين الموضوعات(٧٦).

يقول مارسيل فى "فلسفة الوجود": " إن عصرنا يسوده اليأس، وهذا اليأس يتمخض عن الشعور بالعجز فى الوجود نتيجة الاعتراف بعدم الفعالية القصوى للتقنيات، ومعارضتها للطبيعة الأساسية للوجود. وبالرغم من أن الإنسان المعاصر يخضع لها تماماً، فإنها عاجزة عن إنقاذه، إذ إنه يفقد السيطرة عليها على نحو متزايد، وهذه السيطرة لا تعنى شيئاً آخر سوى التعبير عن وجوده. ومن ثم فإن اليأس يبدو بوصفه خيانة للوجود، وذلك بما فيه من دعوة لإنكار الذات... هذا، ويتراءى لى أن هناك حقاً علاقة جدلية أساسية بين التفاؤل بالتقدم التقنى، وبين فلسفة اليأس التى تبدو بالضرورة أنها نتيجة لهذا التقدم"(٧٧).

ويستطرد مارسيل قائلاً فى "سر الوجود": " أياً كان التقدم التكنولوجى للأجيال القادمة - مقارنة بنا - فإنه لن يكون لديها أى تقدم فى معرفتها بالقيم... ويبدو أن التأثير

---

(75) ريچيس جوليڤيه: المذاهب الوجودية من كيركجور إلى چان بول سارتر، ص ٢٩٨.
وكذلك: فؤاد كامل: فلاسفة وجوديون، ص ٧٨.
وكذلك: Blackham, H.J.: Six Existentialist Thinkers, P. 79
(76)عبد الرحمن بدوى: دراسات فى الفلسفة الوجودية، ص ص ٢٥٧ - ٢٥٨.
وكذلك: على عبد المعطى: أعلام الفلسفة الحديثة، ج (٢)، ص ٢٩٠.
(77) Marcel, Gabriel.: The philosophy of Existence, P. 14, 18- 19.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المُجدب للتقنية فى العالم يُعدّ للاختفاء الجذرى لعلاقات الذاتية المشتركة، ومن آثار ذلك التأثير أن الموت لم يَعد سراً، وإنما أصبح حقيقة أولية"(*)(٧٨).

وعلى هذا، فإن مارسيل يرى أن عصرنا يتطلب انقاذاً سريعاً وحاسماً للوجود الإنسانى المشخص، ولا سبيل إلى مواجهة ذلك إلا بتوكيد معنى الإنسانية فى الإنسان، وتوكيد حريته(٧٩).

(*) يمكننا هنا مقارنة موقف مارسيل بتمييز هايدجر بين المعنى الزائف والحقيقى للموت؛ فيقول: "الموت فى الحياة اليومية حظ عاثر يحدث باستمرار، ومن لا تربطنا بهم صلة شخصية يموتون كل يوم، فالموت حدث مألوف يحدث داخل العالم". ويعنى هذا أن "الناس" فى الحياة يرون الموت مجرد "حدث" يقع للآخرين فى العالم، فالموت هو موت "الآخر" لا موت "الأنا" عامدين إلى القضاء على كل قلق يساورنا بهذا الخصوص، ويميلون إلى اعتباره نهاية مجهولة لا موضع لها فى الوقت الحاضر، فليس للموت موضع ضمن "إمكانيات" الإنسان العادى، لأنه مندمج فى عالم الأشياء. كما يعنى أن الحياة العامة التى نحياها مع الآخرين تعرف الموت بوصفه حادثاً يقع كل يوم، أو حالة وفاة تتكرر كل ساعة، ولا يصح أن تفاجئنا أو تشد انتباهنا أو تشغلنا أكثر مما ينبغى. وهذه العبارة تكشف عن "الوجود اليومى- نحو- الموت"، فالموت غير محدد، ولم يصبح بعد وجوداً حاضراً، وهو لا يهددنا، لأن من يموت هو الآخرون أو الذات الجمعية، أو أن من يموت هو "لا أحد"، فالموت حدث عام يصادفه الآخرون، وهو "حالة" تحدث باستمرار، حالة فعلية، فتنتفى صفته كإمكانية. ويتضح مما سبق أن الناس يهربون من قلق الموت هروباً جماعياً بإحالته إلى وجود حقيقة إحصائية أو يقين تجريبى، تاركين المصير الشخصى مبهماً دون تجديد، أو برده إلى اليقين بأن كل نفس ذائقة الموت، وكأن الموت يهم كل الناس، ولا يهم أحداً بالذات من ناحية أخرى، وبذلك يصبح الموت حالة عرضية بغيضة، ويكون الاهتمام متعلقاً دائماً بإخفاء الوجود- للموت الذى هو "أنا". أما عن المعنى الحقيقى للموت أنه ليس وجوداً خارجاً عن الآنية، ولا يقبع خارجها، وإنما يواجهها باستمرار ما دامت موجودة، وهو يعبر عن الآنية ذاتها حتى وإن لم تكن الآنية فى حالة انتهاء معبرة عن البنية الكلية لها، فالموت ليس جزءاً ناقصاً من المركب الكلى، وهو بالأحرى يكون كلية الآنية منذ البداية، وعلى أساس هذه البنية الكلية أصبح للآنية أجزاءً زمانية خاصة بها، وطرق ممكنة للوجود. ويعنى ذلك أن الموت عند هايدجر طريقة لوجود الآنية ما دامت وجوداً- فى- العالم، وأن الحياة ليست سوى أن نحيا موتنا، فالآنية إذن وبمعنى أنطولوجى هى "الوجود- للنهاية"، والصورة الكاملة لمعنى وجود الآنية يمكن إدراكها فقط عندما نجرب كل الممكنات، وكل طرق الوجود وتحققها، ولا يتحقق ذلك إلا بموتها، لأن وجودها الحقيقى "وجوداً- للموت" Sein- Zum- Tode. يقول هايدجر: "الموت هو إمكانية الإستحالة المطلقة للآنية... وتقوم إمكانية الموت الوجودية على أن الآنية تتكشف لذاتها بوصفها آنية مجاوزة لذاتها".

انظر: صفاء عبد السلام جعفر: الوجود الحقيقى عند مارتن هايدجر، ص ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٦، ٣٣٠، ٣٣٤.

(78) Marcel, Gabriel.: The Mystery of Being II, (Faith & Reality), P. 99, 151-152.

(79) عبد الرحمن بدوى: دراسات فى الفلسفة الوجودية، ص ٢٥٨.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

خاتمة:

إن فلسفة مارسيل بأسرها عبارة عن مفارقات، وكل مفارقة تمثِّل وحدة ينسجم فيها الضدان. أما عن أهم معانى المفارقة فى مفهوم الوجود عند مارسيل فهي كما يلي:

إن الوجود عند مارسيل يجمع بين "الذات" و"الموضوع" فى آن واحد. وعندئذ لن يكون وعيى بوجودى "كذات" عارفة منفصلاً عن جسمى "كموضوع" معروف، وإنما بالعكس سيكون وعيى بذاتى وبجسمى وبالعالم هو التجربة التى أعيشها، والتى تكشف لى عن وحدة حية وعن نسيج متصل لا يُمكن التمييز فيه بين (الوعى بالذات) و(الاحساس بالجسم) و(إدراك العالم الخارجى وموضوعاته). ومن ثم فإنه يُمكن القول إن جسمى لا ينتمى إلىّ فقط، ولكنه يمتد إلى العالم الذى يتجاوزنى ويشملنى فى الوقت نفسه(٨٠).

هذا، ويتبين لنا أن العلاقة بين الذات والجسم عند مارسيل علاقة مزدوجة الدلالة: فبين الذات والجسم هُوية وتقابل مطلق فى الوقت نفسه؛ ويعود الأصل الفلسفى لهذا الازدواج إلى إقامة الأنا فى محيط المِلك وإقامة الجسم بوصفه شيئاً ممتلكاً(٨١).

وعلى ذلك، فإنه لا يمكننى أن أصف العلاقة بين جسمى وبينى، لا على أنها علاقة وجود، ولا على أنها تملك. إننى جسمى، ولكننى مع ذلك لا أستطيع أن أعتبر أننى وهو شيئاً واحداً. حقاً إن جسدى قد يبدو لى فى بعض الأحيان بمثابة "شىء" أملكه، لكننى بمجرد ما أنفذ إلى أعماق خبرتى الخاصة، فإننى سرعان ما أتحقق من أننى - بوجه من الوجوه - "جسدي عينه". ومثل هذه النظرة إلى "الجسم" كفيلة بأن تخلع عليه طابعاً وجودياً، فلا يعود الجسد مجرد "موضوع" تملكه "ذات"، بل يصبح مقوماً من مقومات "الذاتية"(٨٢).

ويرى مارسيل أن الوجود الفردى هو المرآة التى ينعكس عليها وجود اللامتناهى، فالإنسان لا يستطيع أن يفهم نفسه إلا إذا انفتح بالمشاركة والحضور على علوّ نحو "الأنت المطلق". يقول مارسيل فى "الإنسان الجوّال: مقدمة فى ميتافيزيقا الأمل": " إن الحضور يُشير إلى شىء مختلف نوعاً ما وأكثر شمولاً من حقيقة الوجود، ولكى أكون دقيقاً تماماً، لا يُمكن للوجود الإنسانى أن يقول - فى الحقيقة - إن الموضوع حاضر، قد نقول إن

---

(80) حبيب الشارونى: فكرة الجسم فى الفلسفة الوجودية، ص ص ٧٩، ٨١.
وكذلك: Blackham, H.J.: Six Existentialist Thinkers, P. 73
(81) المرجع نفسه، ص ٨٩.
(82) إ. م. بوشنسكى: الفلسفة المعاصرة فى أوروبا، ص ٢٤١.
وكذلك: زكريا ابراهيم: دراسات فى الفلسفة المعاصرة، ج(١)، ص ص ٤٩٥-٤٩٦.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الحضور يعتمد دائماً على التجربة، التى تكون فى الوقت نفسه غير قابلة للاختزال وغامضة بالمعنى القائم للوجود فى العالم". ويقول أيضاً فى "فلسفة الوجود": " الحضور هو الشىء الذى يكشف عن نفسه مباشرة... ويشمل الحضور التبادل الذى يُستبعد من أى علاقة بين الذات والموضوع"(٨٣).

أما عن معانى المفارقة فى الظواهر الوجودية التى تكشف عن سر الوجود، فإن مارسيل يرى أن كل ما هو واقع فى الوجود لا يكون متصوراً إلا من حيث هو سر، ولقد تمثَّلت هذه الأسرار فى الظواهر الوجودية؛ فالأمل وحده يستطيع أن يتيح لنا - أن ندرك معنى المحنة (الألم والموت) وقيمتها، كما أنه يتيح لنا أيضاً أن نحولها إلى "وجود" أكمل وأشد ثراء. أما الحب فإن من شأنه أن يُحيل الموضوع إلى ذات، ويُضفى على "الغائب" نوعاً من "الحضور" يرتبط بوجودنا الشخصى. أما الموت حين يتم تصوره على مستواه الحقيقى؛ أى على مستوى السر، فإنه يصبح انفتاحاً على وجود أكثر امتلاء، حينئذٍ تتزامن اللحظة الوجودية مع الآن الخالدة. أما الوفاء فإنه يُمكّننى من تجاوز الحضور فى الوجود، لأنه إقرار فعّال بشىء أبدى وفقاً لنمط من القانون الأنطولوجى. وأخيراً الحرية فإنها استجابة لنداء الوجود.

أما عن طبيعة المفارقة فى مفهوم مارسيل عن الإيمان وعلاقة ذلك بالسر الأنطولوجى، فنجد أن فلسفة مارسيل تدور بين قطبى "التجسد" و"النداء"، وفكرة التجسد التى جاءت عند مارسيل باعتبارها سراً إنسانياً هى فى الأصل فكرة دينية مسيحية؛ فبفضل التجسد الإلهى يكون الله حاضراً لى، وبفضل تجسدى أتقبل الإله المتجسد، ويبدو أن مارسيل ينتقل مباشرة - من خلال هذه الفكرة - من الوجود إلى الحضور، وأن هذا الانتقال يتحقق عنده ابتداءً من التجسد حتى النداء. وعلى هذا، فإن قبول الوجود المتجسد والإيمان باللطف الإلهى هو السر الأنطولوجى عند مارسيل(٨٤).

وهكذا نجد أن فلسفة مارسيل منفتحة على العناية الإلهية، وأن التجربة الأساسية فى هذه الفلسفة هى "الإيمان" بالله إيماناً مطلقاً، وأنها تسلك سبيل التصوف المسيحى حتى تصل إلى غايتها، وتحقق هدفها من الاتحاد بالله، والاستغراق فيه، والاستجابة إلى ندائه.

---

(83) فؤاد كامل: أعلام الفكر الفلسفى المعاصر، ص ٢٣١.
وكذلك: Marcel, Gabriel.: Homo Viator, Introduction to A Metaphysic of Hope, p.15
وكذلك: Marcel, Gabriel.: The philosophy of Existence, P. 26
(84) حبيب الشارونى: فكرة الجسم فى الفلسفة الوجودية، ص ٧٥، ٢٣٠.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وعلى الرغم من ذلك فإن مارسيل يقول فى "فلسفة الوجود": " إن الحقائق المسيحية الأساسية ضرورية لتمكين العقل من تصور بعض المفاهيم التى حاولت تحليلها، ولكن لا يُمكن أن يُقال إن هذه المفاهيم تعتمد على الحقائق المسيحية بصورة مطلقة، أو إنها تفترضها مسبقاً وتقتضيها ضمناً"(٨٥).

ومما لا شك فيه، أن ميزة الإيمان فى نظر مارسيل هو أنه يجعل المرء يُدرك أنه ليس مجرداً محضاً، وأن العالم ليس مجرداً محضاً، بل يجتمع الذات والموضوع فى فعل الإيمان(٨٦).

وخلاصة القول: إن السر الميتافيزيقى للوجود أو "السر الأنطولوجى" يكمن فى منطقة وسطى بين المِلك والوجود، بين الذات والعالم، وفيها تنفتح الذات على العالم بنفسها فتتكشف وتعلو فى مشاركة تعبر عن واقعها الذاتى، والجسم هو نواة أو رمز لهذه المنطقة الوسطى. إذن، "التجسد" هو السر الأنطولوجى عند مارسيل: إننى أتجسد فى جسدى، والعالم يتجسد فىّ، ويتجسد الله فى العالم (فوجودى متجسد فى عالم هو بدوره متجسد فىّ). ومن ثم يقول مارسيل: " إن الوجود مصطلح أعم وأشمل من الحياة" (٨٧).

---

(85) فؤاد كامل: فلاسفة وجوديون، ص ٨٠.

وكذلك: Marcel, Gabriel.: The philosophy of Existence, P. 29

(86) عبد الرحمن بدوى: دراسات فى الفلسفة الوجودية، ص ٢٤٦.

(87) Blackham, H.J.: Six Existentialist Thinkers, P. 72.

وكذلك: Marcel, Gabriel.: The philosophy of Existence, P. 14

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قائمة المصادر والمراجع:

(أولاً) المصادر الأجنبية:

1) Marcel, Gabriel.: Being and Having, Translated by: Katharine Farrer, Dacre Press, Westminster, England, 1949.
2) .....: Homo Viator, Introduction to A Metaphysic of Hope, Translated by: Emma Craufurd, Harper& Brothers, New York, 1962.
3) .....: The Mystery of Being I , (Reflection& Mystery), Henry Regnery Company Chicago, Illinois, 1960.
4) .....: The Mystery of Being II, (Faith & Reality), Henry Regnery Company Chicago, Illinois, 1960.
5) .....: The philosophy of Existence, Translated by: Manya Harari, The Harvill Press Ltd., London, 1954.

(ثانياً) المراجع الأجنبية:

6) Blackham, H.J.: Six Existentialist Thinkers: Kierkegaard, Nietzsche, Jaspers, Marcel, Heidegger, Sartre, Routledge& Kegan Paul Ltd., Great Britain, 1982.

(ثالثاً) الموسوعات الأجنبية:

7) Routledge Encyclopedia of Philosophy, Art: Paradoxes of Set and Property, By: Gregory H. Moore, Routledge, London and New York, 1998.
8) Routledge Encyclopedia of Philosophy, Art: Paradoxes, Epistemic, By: Jonathan L.Kvanvig, Routledge, London and New York, 1998.
9) The New Encyclopedia Britannica, Vol (11), Art: Marcel Gabriel, By: S.C., The University of Chicago, U.S.A., 1982.

(رابعاً) القواميس الأجنبية:

10) Audi, Robert.: The Cambridge Dictionary of Philosophy, 2nd ed., Cambridge University Press, 1999.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

11) Bunnin, Nicholas & Yu, Jiyuan.: The Blackwell Dictionary of Western Philosophy, Blackwell Publishing Ltd., 2004.
12) Lacey, A.R.: A Dictionary of Philosophy, 3rded., Routledge, London and New York, 1996.

(خامساً) المراجع العربية:

١٣) الأب تومَاس ميشَال اليَسوُعىّ: مدخل إلى العقيدة المسيحية- محاضرات أُلقيت فى كلية الشريعة الإسلامية بأنقرة (تركيا)، نقلها عن الإنجليزية: الأب كميل حشيمه اليَسوُعىّ، ط (٢)، دار المشرق بيروت، ١٩٩٥ م.
١٤) بولس سلامة: الصراع فى الوجود، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٤م.
١٥) حبيب الشارونى: فكرة الجسم فى الفلسفة الوجودية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٤م.
١٦) ريچيس جوليڤيه: المذاهب الوجودية من كيركجور إلى چان بول سارتر، ترجمة: فؤاد كامل، مراجعة: محمد عبد الهادى أبو ريدة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، بدون تاريخ.
١٧) زكريا ابراهيم: دراسات فى الفلسفة المعاصرة، ج (١)، مكتبة مصر، ط (١)، القاهرة، ١٩٦٨م.
١٨) صفاء عبد السلام جعفر: الوجود الحقيقى عند مارتن هايدجر، منشأة المعارف، الإسكندرية، ٢٠٠٠ م.
١٩) عبد الرحمن بدوى: دراسات فى الفلسفة الوجودية، ط (١)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٠م.
٢٠) على عبد المعطى: أعلام الفلسفة الحديثة، ج (٢)، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٧م.
٢١) فؤاد كامل: أعلام الفكر الفلسفى المعاصر، دار الجيل، ط (١)، بيروت، ١٩٩٣م.
٢٢) فؤاد كامل: فلاسفة وجوديون، سلسلة مذاهب وشخصيات، العدد الأربعون، مطابع الدار القومية، القاهرة، ١٩٦٥م.
٢٣) فؤاد كامل: مدخل إلى فلسفة الدين ودراسات أخرى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤م.

(سادساً) الدوريات العربية:

٢٤) إ. م. بوشنسكى: الفلسفة المعاصرة فى أوروبا، ترجمة: عزت قرنى، سلسلة عالم المعرفة، العدد (١٦٥)، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، الكويت، سبتمبر، ١٩٩٢م.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٢٥) جاك شورون: الموت فى الفكر الغربى، ترجمة: كامل يوسف حسين، مراجعة وتقديم: إمام عبد الفتاح إمام، سلسلة عالم المعرفة، العدد (٧٦)، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، الكويت، أبريل، ١٩٨٤م.
٢٦) جون ماكورى: الوجودية، ترجمة: إمام عبد الفتاح إمام، مراجعة: فؤاد زكريا، سلسلة عالم المعرفة، العدد (٥٨)، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، الكويت، اكتوبر، ١٩٨٢م.

(سابعاً) الموسوعات الفلسفية العربية:

٢٧) أندريه لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، المجلد الأول، تعريب: خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، ط (٢)، بيروت- باريس، ٢٠٠١م.
٢٨) عبد الرحمن بدوى: موسوعة الفلسفة، ج(٢)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط (١)، ١٩٨٤م.
٢٩) م. روزنتال، ب. يودين: الموسوعة الفلسفية، ترجمة: سمير كرم، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، بدون تاريخ.

(ثامناً) المعاجم العربية:

٣٠) جميل صليبا: المعجم الفلسفى، ج (١)، ج (٢)، دار الكتاب اللبنانى، بيروت، ١٩٨٢م.
٣١) عبد المنعم الحفنى: المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، ط (٣)، مكتبة مدبولى، ٢٠٠٠م.
٣٢) مراد وهبة: المعجم الفلسفى، دار قباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٧م.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com